

مفهوم تطور الأصوات

الأصوات لبن الألفاظ وموطن التطور فيها، فتطور الأبنية تغيير يطرأ فى الأصوات التى تقيم بنيتها، والتغيير يقع فى مادة الصوت (الوحدة الصوتية الأساسية) أو صفة الصوت أو حركته (الصوت الثانوى الذى يصاحب الصوت)^(١). وتطور الصوت مراحل تغييره وأطواره، والتحول المتعاقب فى مادته^(٢).

وقد اصطلح العلماء على مراحل تغير اللغة ونموها متتابعة بمصطلح "التطور اللغوى"^(٣)؛ ليمتاز عن التطور فى حقول المعرفة الأخرى.

ولا يدخل فى التطور ما يعرف باللحن أو الخطأ اللغوى؛ لأنه خروج عن عرف العربية، فالتطور نمو اللغة وتقدمها واتساعها وتيسيرها فى حيز عرفها وأقيستها المشهورة والنادرة ولغات العرب التى يحتج بها، وجوزّ بعض المعاصرين الأخذ ببعض ما أطلق عليه شاذاً من لغة العرب إن أعوزتهم الضرورة إلى ذلك، فجاز العمل به دون توسع، والعمل بالمشهور أصل لا يعدل عنه فى وجوده.

وأجاز العلماء العمل بالندر أو القليل الذى لا يوجد ما يخالفه فيلتمسون فى كلام العرب وجهاً يخرجون عليه ما وقع فى الخطاب المعاصر، وذلك فيما وقع فى ألسنة الناس وذاع فيهم ولا سبيل إلى رده، فيجوز العمل به إن وافق شيئاً من لغة

(1) ارجع إلى: دراسة الصوت اللغوى، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩١م ص ٢٨٣: ٢٨٧.

(2) ارجع إلى: معنى مصطلح التطور فى: قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور، إيكه مولنكرانس، ترجمة الدكتور محمد الجوهري والدكتور حسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ١٠٢، والمصطلحات العلمية والفنية، الخياط ومرعشلى، مجد ملحق بمجلة لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت ج٢/١٣٣، ومعجم علم الاجتماع لميتشل، ترجمة إحسان محمد، دار الطليعة، بيروت ١٩٥١م ص ١٩٧.

(3) اصطلح علماء العربية المعاصرون على إطلاق "التطور اللغوى" على نمو اللغة، ومن هؤلاء الدكتور رمضان عبد التواب رحمه الله تعالى، وله كتابان فيه أحدهما، التطور اللغوى، والثانى لمن العامة والتطور اللغوى، وللدكتور عبد الرحمن أيوب "اللغة والتطور"، ولبرجشتراسر "التطور النحوى فى اللغة العربية"، وهو أقدمها طبع ١٩٢٩م، وتناوله آخرون فى كتبهم اللغوية التى عالجت الأصوات والأبنية والجمل والدلالة، وكتبت فيه بحوث كثيرة.

القدماء من غير المشهور، وفي هذا توسعة وتلبية للضرورة ولبعض وجوه التعبير المعاصرة التي يفرقها عن غيرها مخالفتها في اللفظ، ومن ذلك جواز الاشتقاق من "المنطق" تمنطق، ومن "المذهب" تمذهب ويعنى اشتغاله بعلم المنطق، وتبنى مذهباً؛ وهذا وغيره لا يلتبس بالاشتقاق من أصل اللفظ^(١).

ويقع التطور الصوتي في اللغة المحكية أو المنطوقة أو الخطاب اليومي المنطوق، فاللغة المنطوقة حية لاستخدامها في التواصل اليومي والتفاعل الجماعي فليس للخطاب الشفهي ضوابط نصية ثابتة تقيد غير ما تعارف عليه المجتمع في تواصله اليومي.

ولقد عالج علماء العربية قديماً ما طرأ على أبنية العربية من تطور وتغيير، ويتمثل هذا التطور في أصواتها، وقد درسوا هذا في بعض المصطلحات الصرفية، ومنها: الإعلال، والإبدال (أو البدل)، والقلب والتخفيف، والتعاقب، والتماثل، وقد اختص الإعلال بحروف العلة (الألف، والواو، والياء)، والإبدال والقلب عامان فيما يبذل من غيره سواء أكان صحيحاً أو معتلاً^(٢)، وكذلك التعاقب والتماثل غير أن الأخير اختص بما تأثر بما جاوره فمائله هو هو أو قاربه دون مطابقته^(٣).

والتطور في الأصوات نوعان:

الأول- عارض يقع فيها لجاورتها غيرها ويزول لزوال أسبابه، فيرجع الصوت إلى

(1) ارجع إلى: دراسات لغوية، الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، (د.ت) ص ٩ وما بعدها، وقد عالج كثيراً من الأبنية الحديثة وناقش العمل بها، وبحث كذلك بعض الكلمات الدخيلة وبعض التعابير ودلالاتها، وقد بحث الدكتور محمد حسن عبد العزيز القياس في مصادر اللغة، وله جهود محمودة في ذلك، وهناك بحوث نشرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة تناولت الاحتجاج والقياس.

(2) ارجع إلى: التتمة في التصريف، محمد بن أبي الوفاء الموصلي، المعروف بابن القبيصي، تحقيق الدكتور: محسن بن سالم العميري، ط ١/١٤١٤هـ-١٩٩٣م ص ١٠٠، ١٠١، وارجع إلى: شرح شافية ابن الحاجب، رضى الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي، مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادي، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ج ٦٧/٣، ٦٨.

(3) وقد تناولت كتب نواذر اللغة والشوارد والغريب والمغرب عملية التطور وعالجتها معالجة علمية وكذلك الكتب التي تناولت لغات العرب (لهجاتهم) ونواذرهم.

أصله، مثل تفخيم المرقق وهمس المجهور، أو جهر المهموس والإعلال لأسباب صرفية تتعلق بالمجاورة والحركات.

والثانى - دائم يبقى فى الكلام لشهرته وكثرة استعماله حتى يتوهمه الناس أصلاً مثل: الهمزة فى أحد، وتأسلم، ومتأسلم، وأسلمة المجتمع والعلوم، والتاء فى اتجاه واتجه واتقى والتقوى، والميم فى تمنطق، وتمندل، وتمذهب، ومعجن، وذلك لكثرة دورانها وشهرتها وارتباط الدلالة بينائها، فيقع الاشتقاق منها على لفظها دون الرجوع إلى الأصل.

والتطور باعتبار العمل نوعان: الأول- مشهور يطرد فى كل نظير ويشذ ما يخالفه، وهو الذى يسمى قياساً مطرداً.

والثانى - نادر ليس بمشهور فيسمع فى بعض الألفاظ مع ترجيح العمل بالأصل، وهو ما أطلق عليه العلماء قديماً (الإبدال غير القياسى) يريدون به تغير بعض الأصوات فى بعض لهجات العرب فورد الإبدال فيها فى نواذر كلامهم، ولا يقاس عليه لندرته وعدم توسع العرب فيه، ويدخل فى ذلك الأصوات التى تغيرت للمشاكلة فى اللفظ والتعاقب والحمل على اللفظ والإتباع.

والأصوات فى الخطاب المنطوق تخضع لعوامل التيسير والتخفيف والتأليف بين الأصوات المتنافرة والتقريب بينها، والتخفيف وتيسير النطق.

والخطاب المنطوق ميدان التطور اللغوى، فتتغير فيه الأصوات وتستجيب لمؤثرات عوامل التطور، ويقع التطور فى صور مختلفة، منها الإعلال فى أصوات العلة والقلب أو الإبدال فى الأصوات عامة، والتماثل والتقريب بين الأصوات والإدغام والمخالفة بين الأصوات المتماثلة وكراهة توالى الأمثال، وتأثر الصوت بما يجاوره فى المخرج والصفات، وتأثير السرعة فى نطق الأصوات، وانحراف الصوت عن مخرجه فيخرج فى صورة صوت شبيه به.

وليس الحذف بتطور فى الأصوات؛ لأنه انتفاء لوجود الصوت، أو مادته التى يعتمدها التغير أو تطراً عليها مراحل التغير والنمو.

ويعد الإبدال القانون العام الرئيسي في تطور الأصوات، وأصوات العلة والهمزة أكثر الأصوات عملاً به، والإبدال في اصطلاح الصرفيين عام في القياسى وغير القياسى بيد أنهم خصّوا ما وقع في حروف الإعلال (ا، و، ي) بمصطلح أو الإعلال^(١).

فإن دخلت الهمزة معها استخدموا مصطلح "القلب"؛ لأن الهمزة - على المشهور - ليست من أحرف العلة.

والإبدال اصطلاحاً: جعل حرف مكان غيره، فهو أعم من الإعلال، ومثل له ابن الحاجب بأمثلة منها: تراث، والأصل وراث قلبت الواو فيه تاء، ومثلها: أجوه، والأصل: وجوه، وجعل من ذلك ضويرب تصغير ضارب، واصطبر قلبت التاء طاء، والأصل: اصتبر وزن افتعل^(٢)، فالإبدال كل تغيير يقع في بنية الكلمة سواء أكان مطرداً قياسيًّا، أو نادراً، وسواء أكان صحيحاً أو معتلاً.

والإعلال يختص بأصوات العلة وسميت به لضعفها وتأثرها بغيرها وتغيرها، وهو تغيير للتخفيف، فالإعلال يقع في الأصوات غير الصحاح بيد أن الإبدال يقع في كل الأصوات الصحاح وغير الصحاح، وحروف الإعلال ثلاثة: الألف والواو والياء، والألف تكون منقلبة عن أصل متمكن (الواو أو الياء)؛ فالألف لا تكون أصلاً في اسم أو فعل.

والهمزة ليست من أحرف الإعلال، وإبدال الألف والواو والياء منها في مثل: فاس، سور، وبير، يسمى تخفيفاً وليس بإعلال، والمشهور من ذلك مصطلح الإبدال، ويطلق على تغيير في حروف العلة والهمزة والحروف الصحاح؛ لأنه عام في كل

(1) حروف الإعلال: الألف والواو والياء، وأدخل بعض العلماء الهمزة فيها لوقوع القلب فيها قياساً على نحو ما وقع في حروف الإعلال، وقد جعلها الخليل (كتاب العين ج ١/٦٥) في الأصوات غير الصحاح؛ لأنها قد تقلب ألفاً أو واواً أو ياءً، وقد تقلب هذه الأصوات همزة في المطرد، وأرى أن الهمزة المحققة "ء" غير المخففة حرف صحيح.

(2) ارجع إلى: شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، ج ٣/١٩٧، وشرح المفصل، ابن يعيش، المكتبة التوفيقية، م ٤/٣٣١.

تغيير يقع فى الأصوات.

والإعلال يتحقق فى أحد ثلاثة: القلب، والحذف (وهما فى الحروف)، والإسكان (فى الحركات). والقلب فى اصطلاح الصرفيين مختص بإبدال حروف العلة وإبدال الهمزة، بيد أن قلب الهمزة يكون تخفيفاً، وقلب حروف العلة يكون إعلالاً؛ لأنها تتغير ولا تبقى على حال، وهذا التغيير لطلب الخفة وليس لثقلها، والتخفيف يكون لثلاثاً تحتل أدنى ثقل^(١). والإبدال على ثلاثة أنواع: أولها- بدل من أصل، والثانى- بدل من صوت زائد، والثالث- بدل من بدل.

أولاً- البديل من أصل: وهو أن يحل صوت آخر موضع صوت من أصول الكلمة نحو: ميقات، الياء فيها بدل من الواو فى وقت، فالأصل: موقات، وقعت الواو ساكنة بين كسر وفتح، فقلبت ياء. ومثلها الياء فى ميزان أصلها: مؤزان. ومثلها: ميعاد: مؤعاد. ومثلها الياء والواو فى عين الأجوف فى بيع وقول تقلبان ألفاً لانفتاحها وانفتاح ما قبلها، فصارتا: باع، وقال. ومثلهما الواو آخر الكلمة فى غزا أصلها: غزو، والياء فى رمى (تنطق ألفاً) أصلها: ياء، ويتردد هذا فى كل نظير.

ثانياً- الإبدال من الزائد: وهو أن يبدل صوت من صوت زائد عن أصول الكلمة، ومن ذلك جمع: كافرة: كوافر، قلبت الألف واواً فى بناء الجمع "فواعل" فالواو بدل من الألف الزائدة.

ثالثاً- البديل من البديل: أن يبدل صوت من صوت مبدل من آخر من أصول الكلمة أو من الزوائد، ومن ذلك: رحى (أو رحا بألف، قيل من رحيت. وقيل من رحوت)، يقال فى النسب: رحوى، الواو بدل من الألف فى "رحا"، وأصلها: رحيت أو رحوت. ومثلها: أغزى (آخرها ألف) والألف بدل من الياء فى "أغزيت"، والياء بدل من الواو فى "الغزو"^(٢).

والبديل باعتبار حدوثه- لازم وجائز، فاللازم: ما لا يجوز معه استعمال الأصل

(١) شرح الشافية ج٣/٦٧، ٦٨.

(٢) التتمة فى التصريف، لمحمد بن أبى الوفاء الموصلى المعروف بابن القبيصى، ص ١٠١.

بعد ثبوت العمل به واطراده كالألف فى: قال وباع. لا يجوز استعمال الأصل: قَوْل
وَبِع.

والجائز أو غير اللازم: ما يجوز فيه استعمال الأصل، كالواو فى: وُجوه، جاء فيها
من لغة القدماء: أوجه، والمشهور الأول، ومثله: وعاء وإعاء. وذئب وذيب.
والإبدال- باعتبار العمل به- مطرد وغير مطرد: فالمطرد: ما كان له حد وقياس
يقتدى العمل بلزومه فى كل نظير؛ ويدخل فيها الإعلال بالقلب فى مثل: باع وقال،
وميقات وميزان. وغير المطرد: ما لا يكون له قياس، وليس بشائع، ويأتى فى كلمات
نادرة سمعت من العرب، فلا يؤخذ به فى كل موضع شابهها فى غير ما سمع عن
العرب، ومن ذلك: قلب الهاء همزة فى لفظ "ماء"، والأصل فيه "موه" تحركت الواو
بافتح فقلبت ألفاً "ماه" ثم قلبت الهاء همزة، وقد قيل فى جمعها: مياه وأمواه، ولا
يقاس عليها^(١). واختلف العلماء فى الإبدال الذى يقع فى الأصوات الصراح،
فجوزوه بعضهم على ألا يذهب التبديل بمعنى الكلمة أو أن يخرق قانوناً صوتياً وأن
تكون له أسبابه الصوتية. وقد عدّه بعض العلماء ظاهرة صوتية مسلم بها، لوقوعها
فى كلام العرب، فعده من سنن العرب فى كلامهم، فهم يبدلون الحروف ويقيمون
بعضها مقام بعض، ومن أصحاب هذا المذهب ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)^(٢)، وسلم
بوقوعه فى الأصوات الصراح نحو: مدحه ومدهه، وقد جمع العلماء هذه الظواهر
وفسروا أسباب وقوعها^(٣).

(١) التتمة فى التصريف ص ١٠١، وشرح الشافية ج ٣/١٩٨.

(٢) الصحابى، ابن فارس؛ تحقيق السيد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣م ص ٣٣٣.

(٣) بحث القنماء ظاهرة الإبدال، ومنهم: اليزيدى (ت ٢٠٢هـ)، واللحيانى (ق ٢هـ)، والثيبانى (ت ٢٠٦هـ)،
وقطرب (ت ٢٠٦هـ)، والفراء (ت ٢٠٧هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، وأبو زيد
الأنصارى (ت ٢١٦هـ)، وابن الأعرابى (ت ٢٣١هـ)، والكسائى (ت ٢٣١هـ)، والأصمعى (ت ٢١٦هـ)،
ويعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، وله كتاب القلب والإبدال، وعبد الرحمن الزجاجى (ت ٣٤٠هـ)، صاحب
الإبدال والمعاقبة والنظائر، وأبو الطيب اللغوى (٣٥١هـ)، صاحب الإبدال (الحروف المتعاقبة)، وتناوله
علماء الصرف وهو باب رئيس فى علم الصرف، وعالجه كبار النحاة مثل: سيبويه والمبرد، وابن الحاجب
والزمخشرى وغيرهم.

وأجازه ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) للضرورة التي تستوجهه، فقصره على ما سمع من القدماء، ولم يميز التوسع فيه، فقد رأى أنه متى "أمن أن يكون الحرفان جميعاً أصليين كل منهما قائم برأسه لم يسغ العدول عن الحكم بذلك، فإن دل دال أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة وصير إلى مقتضى الصنعة"^(١)، ولم يميز ترك الأصل إلى الإبدال، وناقش بعض ما ذكره العلماء ورده إلى أن كل منها أصل في موضعه وليس فيه إبدال نحو: هتن وهتل، قال امرؤ القيس^(٢):

فسحت دموعى فى الرداء كأنها كلى من شعيب ذات سحّ وتهتان
وقال العجاج^(٣):

عزّز منه وهو مُعطى الإسهال ضربُ السوارى منته بالتهتال

رأى ابن جنى أن هتلت السماء وهتنت أصلان كل منهما قائم برأسه، ودليل مذهبه أنهما متساويان في التصرف: هتنت السماء تهتن تهتاناً، وهتلت تهتل تهتلاً، وهى سحائب هتن وهُتّل، وبعض المتأخرين رأوا أن امرؤ القيس جاهلى (ت ٨٠ق.هـ)، والعجاج إسلامى (ت ٩٠هـ)، وهذا البعد الزمنى يحتمل الإبدال فليس الشاعران بمتزامنين^(٤)، ويقوى الإبدال أن المعنى واحد والتصريف واحد أيضاً، وأن اللام والنون من اللثة، وأنهما رخوان ومستفلان فاتفقا في المخرج والصفات، وهذا ييسر وقوع الإبدال بينهما ويسوغه، وهنالك مواضع أخرى اعتورا فيها الإبدال^(٥). وقد توسع الخطاب اليومى فى إبدال النون من اللام نحو: إسماعيل وإسماعين، ونفحته النار من نفع، وعلوان وعنوان، ونكز ولكز ووكز.

(1) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد على النجار، الهيئة العامة للكتاب جـ ٨٤/٢.

(2) نفسه.

(3) ملحق ديوان رؤبة ص ٨٦، والخصائص جـ ٨٥/٢.

(4) ارجع إلى: مقدمة محقق كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى،

تحقيق الدكتور فوزى الهابط، دار الولاة، شبين الكوم، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(5) وقع إبدال بين اللام والنون فى: أبنت الميت وأبنته، وإسماعيل وإسماعين وجبريل وجبرين. الإبدال

والمعاقبة ص ٩٣، ٩٨.

والإبدال يقع على مراحل تاريخية متعاقبة، فينزل صوت منزلة صوت آخر لاشتراكه معه فى المخرج أو قربه منه أو لاشتراكهما فى صفة أو أكثر، ويقوى أن يشتركا فى المخرج والصفات، فتفرق بينهما صفة أو حركة العضو الصوتى، ويندر وقوعه، ويقع فى بيئة لغوية واحدة أو جماعة لغوية، فقد ورد مسموعاً عن القبائل، فنسبت الظواهر الصوتية لقبائل، اشتهرت بها، ووقع اختلاف اللهجات فى البوادرى لمشقة التواصل بين قبائلها، وظهرت اللغة المشتركة فى الحواضر لسهولة التواصل.

وليس الإبدال مطرداً فى الصحاح بل مسموعاً، قال أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ): " ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف مكان حرف، وإنما هى لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفان إلا فى حرف واحد...."^(١)، وأكد أن القبيلة تصطلح على نطق واحد - وهى أمة واحدة - فالهمز والتسهيل لا يكون فى لهجة واحدة، وقد نسبت ظواهر إلى قبائل ليست فى غيرها.

وأكد العلماء أن الاختلاف لا يقع فى نطاق قبيلة واحدة بل يقع فى جماعتين مختلفتين: "إنما يقول هذا قوم، وذلك آخرون"^(٢)، وحقق العلماء القول فى هذا فيما سمعوه من الأعراب، قال أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ): "قلت لأم الهيثم (عمته): كيف تقولين أشد سواداً من ماذا، قالت: من حلك الغراب. قلت: أتقولينها: من حنك الغراب؟ قالت: لا أقولها أبداً"^(٣).

وقد يقع لفظ من قبيلة فى لسان قبيلة أخرى فيتوهم السامع أن اللفظ له وجهان فى لسان قبيلة، وهذا بعيد، وقد ورد لفظان بينهما إبدال، ونسبا إلى قبيلة واحدة، فتوهم بعض المتقدمين أنهما وقعا فى لسان واحد، ومن ذلك ما ذكره ابن السكيت:

(1) كتاب الإبدال؛ لأبى الطيب اللغوى، تحقيق عز الدين التتوخى، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ١٩٦٠م، ص ١٠، وما بعدها.

(2) السيوطى ج ١/٤٦٠.

(3) جمهرة اللغة لابن دريد (ت ٣٢١هـ)، صادر، بيروت، ج ٢/١٨٥، وأم الهيثم من بنى نعيمير بن عامر الشيباني. الجمهرة ٤/٨٠٧.

" حضرني أعرابيان من بني كلاب، فقال أحدهما: إنفحة، وقال الآخر: منفحة، ثم افترقا على أن يسألا جماعة من أشياخ بني كلاب، فاتفق جماعة على قول ذا، وجماعة على قول ذاء، وهما لغتان ^(١). وهذه الرواية تحتمل إجازة الوجهين لوقوعهما في كلام العرب، وقد أثبت ابن جنى ذلك ^(٢).

والإبدال في غير أصوات العلة غير قياسى عند الصرفيين، ولا يتوسعون فيه ولا يقيسون عليه، ويسميه اللغويون لهجات أو لغات.

والتطور أكثر وقوعاً واطراداً في أصوات العلة والهمزة لمرونتها وقبولها التغيير؛ لتأثرها بما يجاورها في المخرج والصفة ولتأثرها بنوع الحركة، والسرعة في الأداء والتشويش السمعى والتحريف وتأثير اللغات الأجنبية.

وستتناول التطور الصوتى في أصوات العلة والهمزة، ونبين التطور المطرد في كل نظير وما وقع عارضاً وليس بمطرد، وسنبداً بالحديث عن الهمزة لعلاقتها الحميمة بأصوات العلة؛ ولأنها تقلب إليها والعكس، فصار تقديم الهمزة عرفاً، وليست من أصوات العلة بل تشبهها في كثرة التغيير حتى قيل إنها منها، والراجح أنها من الأصوات الصحاح.

أولاً- تطور الهمزة :

تطورات الهمزة ألفاً وواواً، فالهمزة تقلب ألفاً في حشو الكلمة وآخرها، ولا تقلب ألفاً في أولها؛ لأن الألف ساكنة، ولا يبتدأ بالساكن، وتطورت الهمزة ألفاً تخفيفاً؛ لثلاثيها يبتدأ بهمزتين في نحو: آدم قيل أصله: أ أ دم، فقلبت الهمزة الثانية الساكنة ألفاً تخفيفاً، ومثلها: آخر وزن أفعال من آخر، ونحو: آمنَ وزن أفعال من أمين ^(٣) ويطرد هذا في كل ما كانت فائز همة والأولى منهما مفتوحة، وهذا القلب واجب لاجتماع الهمزتين وسكون الثانية وانفتاح ما قبلها.

(1) ارجع إلى: المزهري، للسيوطي، تحقيق المولى، والجاوي، وأبو الفضل، دار التراث جـ ١/٤٧٥.

(2) الخصائص جـ ٢/٨٤، وما بعدها.

(3) التتمة في التصريف ص ١١٦، وسر الصناعة جـ ٢/٢٠٦.

وخفت الهمزة ألفاً في فصيح العربية، وهي لغة مشهورة في أهل الحجاز، وجاءت في القراءة المشهورة، فقد قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر: ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأْتُهُ﴾ [سبأ: ١٤] منسأته على إبدال الألف من الهمزة تخفيفاً وتسهيلاً، فأصوات اللين أيسر نطقاً من الهمزة المحققة التي يتفجر فيها الهواء بعد أن يجبس في الصدر بيد أنه في الألف يخرج طليقاً دون حبس أو ضغط في الصدر، وقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ﴾ [المعارج: ١] قرأها نافع وابن عامر (سال) بقلبها ألفاً^(١).

وقد تقلب الواو همزة حملاً على المهموز للمشاكل في اللفظ، ومن ذلك قول النبي ﷺ لنسوة تبعن جنازة: "ارجعن مأزورات غير مأجورات"^(٢) قلبت الواو في موزورات همزة لتشاكل همزة مأجورات، وهذا ليس مطرداً، ورواه بعض العلماء لتخفيف الهمزة ألفاً: "ارجعن مازورات غير مأجورات"^(٣)، وهذا يوافق لهجة أهل الحجاز.

وقال حسان بن ثابت ﷺ^(٤):

سألت هذيل رسول الله فاحشة ضلّت هذيل بما سألت ولم تُصبِ

الشاهد: سألت بتخفيف الهمزة المفتوحة ألفاً، وقال الفرزدق^(٥):

راحت بمسلمة البغال عشيّة فارعى فزارة لا هناك المرتع

الشاهد: هناك، خفت الهمزة ألفاً، والعامية تقول: هئاني. ونحو: المرأة بألف

خالصة، حكى ذلك سيبويه عن العرب أبدلوا الهمزة المفتوحة ألفاً ثم فتح ما قبل الألف، فالألف تستوجب فتح ما قبلها، وقيل إن حركة الهمزة أقيت على الساكن

(1) البحر المحيط جـ ٨/٢٣٢.

(2) أخرجه ابن ماجه: ١٥٧٨، وكنز العمال: ٤٢٥٨١.

(3) سر صناعة الإعراب جـ ٢/٢١٠، وقد رواه ابن جنى مخففاً.

(4) شرح الشافية جـ ٤/٢٥١، وديوان حسان ص ٣٧١، والكتاب لسبويه جـ ٣/٤٦٨.

(5) ديوان الفرزدق ص ٥٠٨، والمقتضب ١/١٦٧، والخصائص ٣/١٥٢، وسر الصناعة جـ ٢/٢٠٨، وكتاب

سبويه جـ ٣/٥٥٤.

قبلها تمهيداً لتخفيف الهمزة^(١).

وقد صارت الهمزة واواً قياساً وغير قياس والواو شفوية والهمزة حنجرية، فقلبت واواً أولاً وحشواً وآخراً، فأما قلبها واواً أولاً، فليس بقياس بل فيما سمع عن العرب، وله نظير في خطابنا اليومي، ووقع ذلك تخفيفاً نحو قولهم: قتل وباك ووخاك. والأصل الهمزة: أباك وأحاك.

ويقولون: وكّد وأكّد، وورّخ وأرّخ، واخى وآخى: واخيت زيداً، والأصل: أخو، فقلبت الهمزة واواً وأعلت الواو فصارت ياء مثل: واو غازيت، فالأصل: غزو، ولا يجوز أن تكون الواو في فاء واخيت أصلاً؛ لأنه ليس في كلام العرب كلمة فاؤها واو ولا مها واو، وقد تكون الواو أصلاً، ولكن الهمزة التي صارت إليها اشتهرت بها الكلمة ثم تخفف الهمزة ثانية واواً عودة إلى الأصل نحو: أحد عشر، أصل الهمزة واو، لكن الأصل غير مستعمل فتوهم السامع أن الهمزة أصل، فجمعت على ما صارت إليه أحاد مثل: أمل: أمال، والأصل: وحد: وحاد.

وبعض العرب يخففون الهمزة فيقولون: وَحَدَ عشر. ومثلها: وناة تخفيفاً والواو أصل من ونى، فتوهم فيها السامع أن الهمزة في أناة أصل فقال تأنى، وفي التأنى السلامة، فخفف بعضهم، فقال: وناة: امرأة وناة من الونى وهو الفتور^(٢).

وقولهم: وحمد في أحمد. وقرأ أبو عمرو بن العلاء: ألا: ولا في قوله تعالى: ﴿كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] وهذا شاذ^(٣)، والمشهور تحقيق الهمزة: ألا. وهذا من المسموع وليس بقياس، ولا تقلب الهمزة واواً قياساً في أول الكلمة.

ومن ذلك قول العامة: وكل: أكل، وخذ: أخذ. ونس: أنس. واخى: آخى، ويقولون: واخر يريدون: آخر، وخير: أخير.

(١) شرح المفصل ج٤/٢٥٠.

(٢) سر الصناعة ج٢/١٢٥، ١٢٦.

(٣) سر الصناعة ج٢/١٢٦، وارجع إلى: البيان في إعراب القرآن ج١/٢٢.

وتقلب الهمزة واواً فى حشو الكلمة وآخرها وجوباً فى بعض المواضع، ومنها: إذا اجتمعت همزتان الأولى مضمومة، والثانية ساكنة وجب إبدال الثانية واواً من جنس حركة الأولى تقول: أنا أومِن بالله، المضارع من آمن، وكذلك المبني للمجهول: أومن فلان، ويطرَد فى كل نظير.

وتقلب كذلك فى كل همزة تأنيث ممدودة فى الثنية والجمع والنسب: صحراوان، وصحراوات، وصحراوى، وهو قلب لازم فى كل نظير.

وقد تقلب الهمزة ألفاً ثم واواً نحو قولك فى تصغير آدم وآخر، وجمعهما: أُويدم، وأُوَيخر، وأوادم وأواخر، فالألف فى آدم وآخر أصلها همزة وزن "أفعل": أأدم وأآخر من الأدمة والتأخر، فانفتحت الهمزة الأولى، فأبدلت الثانية ألفاً فى آدم وآخر ثم جرت الألف فيها مجرى الألف الزائدة فى فاعل (الألف فيها زائدة)^(١)، فتغيرت الألف فيها فصارت من جنس الحركة التى تسبقها فى أويدم وأويخر، وقلبت واواً فى الجمع؛ لثلاثا تلتقى ألفان فى أفاعل، وجعلت واواً لا ياء لتمائل واو التصغير وواو فواعل فى ضوارب جمع ضاربة.

وخفت الهمزة فقلبت واواً فى رؤيا: روياء، ونؤى (الحفير حول الخيمة): نوى، صحت الواو الساكنة قبل الياء، وبعض العرب قلبوا الواو ياء، فقالوا: رياء، ورية فى تخفيف رؤيا ورؤية. وخفت واواً فى لوم: لؤم، جُون (جمع جؤنة: سلة من الجلد): جُؤن، سُور: سُور.

وقد تقلب الهمزة واواً ثم تدغم فى الواو التى تسبقها نحو: سوّة فى سوءة قلبت الهمزة واواً بعد ياء أصلية.

وتقلب كذلك بعد الواو الزائدة نحو: مقروّة فى مقروءة، ومرجوة فى مرجوءة، قلبت الهمزة واواً ثم أدغمت الواو فى الواو، وهذا قليل فى اللغة^(٢).

وقالت العامة: مخبىّ فى مَحْبُوبٍ مخفف مخبوء بالهمزة (اسم المفعول)، وقال فى اسم

(1) سر الصناعة ج٢/١٢٧، ١٢٨.

(2) شرح الملوكى ص ٢٦٥.

الفاعل مَخْبِيٌّ، والأصل: مُخْبِيٌّ، خففت الهمزة ياء، وقال في تخفيف الهمزة: رِيَّةٌ ورِيًّا بالإدغام (الواو المقلوبة ياء في الياء)^(١). فالياء قلبت عن واو، والواو تخفيف الهمزة في رواية ورويا، وهذا شاذ.

وتقلب الهمزة ياء وجوباً مطرداً في بعض المواضع، وقلبت جوازاً تخفيفاً، بيد أن الهمزة في أول الكلمة لم تقلب ياء خلافاً لقلب الهمزة واواً في أول الكلمة فيما سمع عن العرب، ولم يسمع عنهم قلب الهمزة ياء.

وقد قلبت الهمزة ياء وجوباً في بعض المواضع منها: اجتماع همزتين والأولى منهما مكسورة، فتقلب الثانية ياء وجوباً؛ لأن الياء من جنس حركة الكسرة، وهنالك مشقة في نطق همزتين متتابعتين، بيد أن الياء فيها لين واتساع وسهولة في النطق، والعرب يميلون إلى التيسير والتخفيف.

وقد اجتمعت همزتان الأولى مكسورة والثانية ساكنة فقلبت الثانية ياء نحو: إيلاف مصدر آلفَ يُؤلفُ إيلاًفاً مثل: آمن يؤمن إيماناً^(٢).

وقد خففت الهمزة الثانية ألفاً في الفعل آمن وآلف، ومثلها: أنس: إيناس، والأصل: إئناس، وآثر: إيثار، قلبت الهمزة الثانية ياء لسكونها بعد همزة مكسورة وفتحة بعدها، ويطردها في كل نظير.

والهمزة المكررة تخفف إلى صوت من جنس حركة المتحركة؛ لثلاث تستثقل في الأداء^(٣).

واسم الفاعل مما لامه همزة نحو: جاء: الجائي، فتقلب الأخيرة ياء تخفيفاً: الجائي، قلبت ياء لجيئها بعد همزة مكسورة. وشاء: الشائي: الشائي، وبعضهم يقول الشاي على القلب، فوقعت الهمزة فيه موقع اللام والياء موقع العين وزن فاعل.

(1) شرح الشافية جـ ١/٢٦.

(2) إعراب ثلاثين سورة، ابن خالويه، ص ١٩٥.

(3) ارجع إلى: التتمة في التصريف ص ١٢١، والتطور النحوي للغة العربية بـرجشتراسر، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م ص ٣٩، وتخفيف الهمزة في لغة أهل الحجاز (مكة، المدينة، هذيل).

وقلبت الهمزة ياء جوازاً فى بعض العرب (سكان الحجاز) يقولون: بير، وبيار (بئار)، وذيب، وروى البخارى^(١) أن أبا هريرة ؓ قال لعمره ؓ: "أقرينى". يريد: أقرئنى. وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما: "أن النبى ﷺ أتى بكتف مشوية فأكل منها فتملئى... "تملئى من الملاءة بمعنى الامتلاء.

وقال أبو عمر الهذلى: "قد توضيت"^(٢) فلم يهمز، وقال عبد الله بن رواحة ؓ: "باسم الإله وبه بدينا"، والأصل: بدأنا، فخففت الهمزة، فكسرت الدال فانقلبت الهمزة ياء. وقال ابن خالويه: ليس أحد يقول: بديت بمعنى بدأت إلا الأنصار^(٣). وقلبت الهمزة فى آخر الكلمة ياء فى نبى؁ والأصل: نبىء، ونحو: واجى، أصله: واجىء. قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت^(٤):

وكنْتَ أذْلَ من وتَدِ بِقَاعٍ يَشَجِّجُ رَأْسَهُ بالفهر واجى

يريد: واجىء، فأبدل الهمزة ياء، وأجراها مجرى الياء الأصلية.
وقال ابن هرمة^(٥):

إنَّ السِّبَاعَ لَتَهْدَى عن فرائسها والنَّاسُ ليسُ بهادٍ شرُّهم أبداً

يريد: ليس بهادىء، فأبدل الهمزة ياء ضرورة ثم حذف للتنوين مثل ياء قاضٍ وماضٍ.

وقلبت الهمزة نوناً فى نادر كلام العرب، ومنها النسب إلى صنعاء: صنعانى، وبهراء: بهرانى، وهذا نسب غير قياسى، وهذا قليل، فالنون صوت لثوى مائع، والهمزة حنجرى شديد.

وبحث ابن جنى قلب الهمزة نوناً، فرأى أن النون علامة التأنيث فى فعلن وقلن،

(1) البخارى، باب الأظعمة.

(2) اللسان ١/١٤، سر الصناعة ج٢/٢٦٩.

(3) اللسان ١٨/٧١، وجمهرة اللغة ٣/٢٠٢.

(4) الكتاب ج٢/١٧٠، والخصائص ج٣/١٥٢، وسر الصناعة ج٢/٢٦٩.

(5) ديوان ابن هرمة ص ٩٧، وسر الصناعة ج٢/٢٧٠.

والهمزة علامة التأنيث فى الأسماء فى فعلاء، فأشبهت النون الهمزة فى هذا الوجه فنزلت النون منزلتها فى صنعانى وبهرانى^(١)، وهذا توجيه ليس ببعيد.

وذهب أبو على الفارسى مذهباً آخر: أن النون تشبه حروف اللين شهاً قوياً، فى الغنة التى تشبه اللين، والزيادة فى حروف الزيادة وتخفى فى الياء والواو، فرأى أن الهمزة قلبت واواً فى صنعوى وبهراوى.

ثم قلبت الواو نوناً، وهذا مذهب ليس ببعيد وارتضاه ابن جنى عن أستاذه أبى على الفارسى^(٢).

وأرى - اجتهاداً - أن النون فى صنعانى وبهرانى، ليست منقلبة عن الهمزة بل زائدة مثل نون روحانى وربانى، ودليل ذلك أن قلب الهمزة نوناً لم يسمع فى غير النسب.

وصارت الهمزة هاء فى بعض كلام العرب على غير القياس، مثل قول بعضهم إياك: هياك؛ قال طفيل الغنوى^(٣):

فهِيَاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِن تَوَسَّعْتَ مَوَارِدَهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهُ

الشاهد: هياك، والأصل: إياك، وبعض العرب يقول: إياك بفتح الهمزة، فيفتح الهاء فى القلب، وطبع تقول: هِنَ فَعَلَّ فَعَلْتُ، قلبت الهمزة فى إن الشرطية هاءً، ويقولون: لهئكَ قائم. والأصل: لأنك قائم^(٤). وقرأ الحسن وعكرمة وأبو حنيفة وورش "طه" ساكنة الهاء دون مد فى قوله تعالى: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ

لِتَشْقَى﴾ [طه: ١، ٢] بتسكين الهاء، وهى على هذا الوجه أصلها: طأ، أراد طأ

(1) سر الصناعة جـ ٢/٩.

(2) التكملة ص ٥٦٤، وشرح الملوكى ص ٢٨٦، وسر الصناعة جـ ٢/١٢، ١٣.

(3) ديوان طفيل الغنوى ص ١٠٢، والمحتسب جـ ١/٤٠، وسر الصناعة جـ ٢/١٠٧، وتاج العروس للزبيدى ٤٣٨/١٠، ولسان العرب: أيا، هيا.

(4) سر الصناعة جـ ٢/١٠٧، وسمع عن العرب فى آتى يواتى: يهاتى، والعامية تقول: يهاتى بمعنى: نادى فلم يسمع ولم يطع.

الأرض بقدميك جميعاً؛ لأن النبي ﷺ كان يرفع إحدى رجليه فى صلاته، والمشهور فى "طه" الفتح^(١).

وحمل بعض العلماء أراق وهراق على هذا الوجه، ومثله أنرت الثوب وهنرته، وأرحت الدابة وهرحتها.

وروى العلماء كثيراً من ذلك فى باب الإبدال، وتفسير قلب الهمزة هاءً أنهما من مخرج واحد، وأن الهاء أيسر نطقاً من الهمزة، فالهمزة شديدة يحتبس فيها الهواء ثم ينفجر بيد أن الهمزة احتكاكية.

وبعض العرب يخففون الهمزة ألفاً وواواً وياءً لشدتها ومن ثم قلبت فى لسان بعضهم هاء تيسيراً^(٢)، والأصل تحقيق الهمزة، وهذا القلب غير قياسى.

ثانياً- تطور الألف :

صوت أجوف هوائى عند القدماء يمتد فيه النفس^(٣)، وهو أكثر الأصوات تعرضاً للتطور فهى تقلب عن أصلين الواو والياء، وتقلب إليها الهمزة تخفيفاً فى لهجة بعض العرب، والقلب فيها يكون واجباً أو جائزاً أو شاذاً.

وتقلب الألف همزة وجوباً مطرداً إذا سبقت بألف زائدة فى بناء فعلاء نحو: حمراء، صحراء، وقعت الألف بعد ألف مد زائدة، فالتقت ألفان زائدتان الأولى منهما الزائدة والثانية ألف التأنيث المقصورة فى حمرى، وصحرى^(٤)، وقد قلبت لاجتماع الألفين فى صحرا، وحمرا. زادت ألف أخرى للمد، فاجتمع ألفان، فوجب قلب الثانية المتطرفة همزة^(٥).

(1) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسى، جـ ٣٠٨/٧، وارجع إلى: سر الصناعة جـ ١٠٨/٢، ومعانى القراءات جـ ١٤١/٢.

(2) الهمزة والهاء صوتان حنجريان مهموسان فى علم الأصوات الحديث، بيد أن الهمزة شديدة والهاء احتكاكية.

(3) ارجع إلى: العين، الخليل جـ ٦٥/١، وكتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجى جـ ٤٣١/٤.

(4) العامة تستخدم الألف المقصورة دون الهمزة الممدودة، وسقطت الألف ونزلت الهاء موضعها فى: حمره، صفه.

(5) سر صناعة الإعراب جـ ٨٥/١، ٨٦، وشرح الشافية ١٠٢/٣.

وقلبت همزة فى جمع رسالة: رسائل؛ لحيثها بعد ألف زائدة، وهى مكسورة، فاستحالت الكسرة فى الألف فقلبت ياء من جنس الكسرة^(١).

وقلبت الألف الزائدة لتمكين الاسم همزة فى اسم حروف الهجاء نحو: باء، تاء، ثاء...، زيدت ألف أخرى بعد ألف "با" ليكون الاسم على ثلاثة أحرف ليتمكن من الاسمية، فاجتمعت ألفان فوجب قلب المتطرفة همزة^(٢).

والهمزة فى كساء ورداء بدل من الألف المبدلة من الواو والياء، وذلك أن الأصل: كيساو ورداى، فتحركت الواو والياء وقبلهما فتحة، وليست بينهما وبينها حاجز؛ لسكونها وزيادتها والواو والياء فى محل التغيير (الطرف) فقلبتا ألفاً، فاجتمع ساكنان، فوجب قلب المتطرفة بعد الزائدة همزة^(٣).

وقد تطورت الألف فصارت همزة فى غير القياس فى بعض كلام العرب، وقد قلبت الألف همزة فى بعض القراءات غير المشهورة، ومنها قراءة أيوب السخيتانى^(٤): ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] همز الألف فقال: الضالين، وذلك أنه حرك الألف فقلبت إلى الهمزة؛ لأنها أقرب الحروف إليها، وقرأ أبو عمرو بن عبيد^(٥): ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] همز الألف فى جان.

وهذه القراءة وقعت على ما سمع من العرب نحو: شأبة، ودأبة، والعالم. وبعضهم يقول فى الوقف: حُبلاً، فأبدل الهمزة من الألف التى هى عوض من التنوين فى الوقف^(٦). وهذا لا يقاس عليه^(٧).

(1) الكتاب جـ ٤/٣٥٦، ٣٥٧.

(2) التثمة ص ١٢١.

(3) الممتع، ابن عصفور جـ ١/٣٢٦، والتثمة ص ١٢٢.

(4) سر صناعة الإعراب، والمحتسب جـ ١/٤٧.

(5) المحتسب جـ ١/٤٧.

(6) الكتاب، سيبويه جـ ٢/٢٨٥.

(7) ذكر ابن جنى بعض شعر العرب الذى همزوا فيه الألف، فنقل عن العلماء فيه أنه ليس بقياس.

ونقل سيويه عن الخليل أن بعض العرب يقول: رأيت رجلاً فيهمز؛ وهذه حبلاً، همز الألف لقربها من الهمزة، حيث أخرجها من مخرج الهمزة، وذكر سيويه أنه سمعهم يقولون: هو يضربها، فهمزوا كل ألف في الوقف؛ لأنهم يستخفون الهمز في الوقف، ولا يهمزون في الوصل، لأن الابتداء بصوت آخر يمنع الصوت (الألف) أن يبلغ تلك الغاية في السمع^(١).

والهمزة بدل من الألف وليست بدلاً من النون في الوقف؛ لقرب ما بين الهمزة والألف وبعد ما بينها وبين النون، وشاهد ذلك أنهم يقولون: حبلاً في حبلَى وألف التأنيث المقصورة لا تنوّن البتة، ويرجع هذا إلى أن الألف نهاية مقطع مفتوح، فتنزل الهمزة منزلتها؛ لتغلق المقطع مثل قولهم في "ما": مه، وهو: هوه، وكتابى: كتابيه. وقلبت الألف واواً للضمة قبلها في ضُوَيْرب وزن فويعل، والأصل ضارب، وتصغير فاعل فويعل، وقلبت الألف واواً؛ لأن الضمة بعض الواو فلما ذكر المتكلم بعضاً منها صارت الألف إليها، لصعوبة مجيء الألف بعد ضمة مثلما استحال مجيء الألف بعد كسرة^(٢).

وحملت الألف على التصغير في جمع فاعلة نحو: ضوارب، صواحب حملت الألف فيها على الألف في التصغير؛ لأن حكمهما واحد في الزيادة والنقصان. وقد صارت الألف من جنس الحركة التي تسبقها إذا كانت زائدة ومن ذلك: المبنى للمجهول نحو: حُوسِب، قوتل.

وتقلبت الألف واواً في النسب نحو: عَصَوَى، حُبَلَوَى، الواو بدل من الألف الزائدة في حبلَى^(٣).

وسمع عن بعض طييء قلب الألف واواً يقولون: أفَعَوُ، والأصل: أفعى (بالألف) فقلبوها في الوقف واواً؛ لأن الواو أبين في السمع من الياء، ولأن الواو

(1) الكتاب جـ ١٧٦، ١٧٧.

(2) سر الصناعة جـ ٣٠/١.

(3) التثمة في التصريف ص ١١٥.

تشبه الألف في سَعَة المخرج والمد، ولأن الألف تبدل مكانها كما تبدل مكان الياء^(١)، وهذا قليل جداً، ولا يقاس عليه.

وقلبت الألف ياء في قراطيس وحماليق، قلبت الألف ياء لانكسار ما قبلها، والمفرد: قرطاس، حملاق، وللتصغير نحو: قُرَيْطِيس، حُمَيْلِيق، وتقلب الألف التي تطرقت بعد ياء ياء نحو: صحارىّ وصلافىّ (جمع صلفاء) تطرقت الألف بعد ياء ساكنة فقلبت ياء، وأدغمت فيها الياء الأولى^(٢).

وقلبت الألف المنقلبة عن همزة في مصدر أفعال ياء لانكسار الهمزة قبلها نحو: آمن: إيمان، وآثر: إثثار. وتقلب ياء في المثني: حبلان، والجمع حبليات، ويطردها في كل ألف مزيدة آخر الكلمة.

وسمع قلب الألف ياء في لهجة بعض العرب (فزارة وناس من قيس) قلبت الألف أخيرة ياء في لهجة فزارة وبعض قيس، فيقولون: حبلى (بياء في آخره)، وذلك في الوصل وتخفى في الوصل، وهذيل يدعونها في الوصل على حالها في الوقف فيقولون: "أفَعَى" بالياء في الحالين^(٣).

ومثلها: عَصَى، ومثلها: حبلى بالوقف على الياء، وبعض العرب يقولون: بكى، نحى، أتى وبنى بالياء^(٤). وقد قلبوا الألف ياء؛ لأن الياء أبين في السمع منها. وهذا قليل والمشهور الألف في الوقف. وأبدلت الياء من الألف في بعض كلام المتأخرين في بعض الكلمات ومنها: حُبَّاز وحُبَّازَى، حُمَيْض: حُمَاض، نيب: ناب^(٥).

وأميلت الألف نحو الياء للكسرة التي بعدها بضرب من تجانس الصوت، في لهجة بعض العرب، وقد أمالوها نحو الكسرة ليقربوها منها، فجعلوا الألف بين الألف

(1) الكتاب جـ ١٨١/٤.

(2) التثمة ص ١١٣.

(3) الكتاب جـ ١٨١/٤، وشرح الشافية جـ ٢٨٦/٢. وقد نسبت إلى طيء أيضاً ونسبت إلى قيس وفزارة من قيس.

(4) اللهجات العربية، القسم الثاني ص ٤٩٩، ٥٠٠.

(5) تنقيف اللسان ص ٧٨، ٧٩.

والياء فى نحو: عابِد، وعالم، ومساجِد، ومفاتيح، وهابيل، الألف فيها تمال نحو الياء فتشبهها، فقربوها منها^(١)، ولكنها لا تخلص ياء خالصة.

فتقريب الألف من الياء ضرب من التشاكل بين الأصوات، فالألف تمال نحو الياء إن سبقت بكسرة وإن لم تتصل بها مباشرة نحو: شِملال، سِرِبال، وتمال إن جاءت الكسرة بعدها نحو: عالم، عابِد، أو أن تسبق بياء نحو: شيبان، أو أن تكون منقلبة عن ياء نحو: ناب، باع، سعى، بغى، أو أن تكون فى حكم المنقلبة عن الياء نحو: حبلى، سكارى، ملهى، أو أن تمال الألف لوقوع الإمالة قبلها نحو: رأيت عمادا فى الوقف فتمال الألف الأخيرة لوقوع الإمالة قبلها فى ألف عماد.

وأميلت الألف ياء فى بعض الكلمات وليس بعدها كسرة فى وسط الكلمة وآخرها، فالألف التى وقعت عيناً تمال فى نحو: خاف، وطاب، وهاب، وهذا قليل، والمشهور فى الإمالة فى الهدى، وكسالى، وحبلى، وصغرى، وعيسى، وموسى، أميلت الألف نحو الياء فى الوقف^(٢).

وأميلت الحركات أيضاً فى نحو بناء فُعِلَ نحو: رُدّ، حُلّ، نحا بالحركة نحو الكسرة. وهذا شائع فى مضعف العين واللام، وقد جاء الكسر فى بعض القراءات ومنها: قراءة علقمة ويحيى: ﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥] بكسر الراء، وسمع فيها الإشمام بالإمالة (الحركة بين الضمة والكسرة).

ومن ذلك: شُدّ، ورُدّ، ومُدّ، الكسرة فيها داخله على الضمة، وأقوى اللغات فى معتل العين الكسر نحو: قيل، وبيع، وغبض^(٣). أخلصت العين ياء لكسر ما قبلها، فإن ضمت الفاء قلبت الألف واواً نحو: قول، بُوع؛ لأن الألف تتبع الحركة قبلها.

(1) الكتاب جـ ٤/١١٧، ١١٨، وقال سيبويه إن الحجاز لا يميلون، والإمالة تقع فى بعض بنى تميم، وغيرهم من بنى أسد وقيس وعامة نجد، وتميم أشد العرب حرصاً على الإمالة.

(2) ارجع إلى اللهجات العربية ق ٢/٢٧٧، ٢٧٨، والكتاب لسيبويه جـ ٤/١٢٢، ١٢٣، والنقمة ص ٢٦٣.

(3) المحتسب جـ ١/٣٤٥، والإمالة فى القراءات واللهجات العربية، الدكتور عبد الفتاح شلى، نهضة مصر، ط ٢/١٣٩٣هـ ص ٩٧.

وقد أميلت الفتحة نحو الكسرة طلباً لتجانس الصوت.

وتبدل الهاء من الألف في الوقف على المقطع الطويل المفتوح نحو: هنه، والأصل: هنا، ومنه قول الشاعر^(١):

قد وردت من أمكنة من ها هنا ومن هنه

ومنه قول المستفهم في الوقف: أنه؟، والأصل: أنا، ومنه: مه، ومنه الوقف على المقطع المفتوح نحو: له، والأصل: لم، وهي متطورة عن لما. وأغلق المقطع المفتوح في بعض الكلمات الدخيلة في بعض تعريب العرب بهاء السكت نحو: رومه، روسيه، إنجلترا، فرنسه، بلجيكه، أمريكه، وبعضهم ينطقها على الأصل: روما، روسيا، إنجلترا، بلجيكا، أمريكا.

ثالثاً- تطور الواو:

وتطورت الواو همزة وألفاً وياء وجوباً واطرد القياس فيها، وقلبت جوازاً وسماعاً ولم يطرد القياس في المسموع، فالواو تقلب همزة وجوباً إذا اجتمعت مع واو أخرى أول الكلمة، فتقلب الأولى منهما همزة، لثلاثا تلتقى واوان أول الكلمة، ومن ذلك جمع واصل: وواصل: أو اصل مثل قياساً على قائم: قوائم، وزن فواعل، والواو الثانية زائدة في الجمع^(٢).

ومنه أوّل (وزن أفعال) ومؤنثه: فعلى وُولى: أولى، فأوّل فاؤه وعينه واوان على الأصح، وقيل أصله أول أو وأل، والأرجح وول، فقلبت الواو الأولى همزة أوّل ثم زادوا الهمزة في أفعال فصار أوّل فقلبت الهمزة الثانية واواً ثم أدغمت الواو الثانية أوّل^(٣)، وجمع أوّل: أوائل، والأصل: أواول، فقلبت الواو الثانية همزة، لوقوعها بعد

(1) الممتع لابن عصفور ص ٤٠٠، وشرح ابن الحاجب ج ٢/٢٩٥، وسر صناعة الإعراب ج ١/١٦٣، وشرح الشافعية ج ٣/٢٢٤، والمفصل لابن يعيث ج ٣/١٣٨، ج ١٠/٤٣، ولسان العرب: هنا. والضمير في "وردت" الإبل. والتتمة ص ١٣٠، ١٣٢.

(2) شرح الشافعية ج ٣/٧٤، وكتاب سيبويه ج ٤/٣٧١.

(3) شرح الشافعية ج ٢/٢٠٢، ٣٤٠.

ألف أفاعل.

وقد ذكر ابن منظور اختلاف العلماء في أصل أوائل، فبعضهم قال: أصله أو اول بالهمزة أوله، من وأل فاكتنف الألف واوان فقلبوا الأخيرة همزة أوائل، ووقع فيه قلب، فتقدمت اللام على الهمزة فصار أوالي بتخفيف الهمزة ياء. وقيل أصله أوّل (همزة فواو فلام) وقيل أصله وول (واوان بعدهما لام) ولكل رأى حجته.

وقيل أصل أوّل وول وزن فعّل، فقلبت الواو الأولى همزة، وهو مصروف خلاف من قال أوّل وزن أفعل^(١). والأرجح أن أفعل من وول فهي من باب كوكب مما جاء فإؤه وعينه من جنس صوت واحد. وأو اول قلبت الواو بعد الألف همزة مثل: أحسن: أحاسن

ومن ذلك أوى وزن فُعل من وأيت، الأصل وُوى فقلبت الواو الأولى همزة تخفيفاً قال الخليل: "لابد من الهمزة؛ لأنه لا يلتقى واوان في أوّل الحرف"^(٢).

وقلبت الواو همزة في نادر كلام العرب، وجاءت بها قراءة سعيد بن جبير: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ إِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦] بقلب واو وعاء همزة^(٣)، والمشهور وعاء. وقد قلبت الواو المكسورة همزة في بعض كلام العرب ومن ذلك: إسادة، وإجاج (الستر)، والأصل: وسادة وإجاج.

وهمزة وعاء بالضم أقيس من الهمزة المكسورة، قياساً على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ﴾ [المرسلات: ١١] والهمزة فيها قراءة الجماعة، وعليها يحسن: (أعَاء أخيه) بضم الهمزة، وقرأ أبو عمرو ووافقَه اليزيدي: (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ) بالواو وهي على الأصل من الوقت.

وقد قيس على ذلك: أُجوه وأعد، وأُجئة (ما ارتفع من الخدين) والأصل: وجوه،

(1) لسان العرب: وأل جـ ١٩٥/٩.

(2) الكتاب جـ ٣٣٣/٤.

(3) سر الصناعة جـ ١٠٠/١، وشرح الشافية جـ ٧٥/٣، ٧٧، والمحتسب جـ ٣٨١/١، والكتاب جـ ٣٣١/٤.

وقلبت الواو المفتوحة همزة وثبت العمل بها واتفق عليها في "أحد" فلم يسمع فيها وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وأصل أحد: وحده، وتواتر ذلك عن العرب في قولهم في العدد أحد عشر، والله أحد، أى واحد^(١).
ورأى ابن الأنبارى أن الأصل فيه واحد، فحذفوا الألف الزائدة من واحد، وأبدلوا الواو المفتوحة همزة، كما قالوا: امرأة أناة، والأصل فيها: وناة؛ لأنها من وكى ينى، إذا فتر، قال نصيب^(٢):

أناة كأنَّ الحقَّ منها بربوبة تازَّرها رَدْفٌ من الرَّمْلِ مُسَهَّلُ

والأصل: وناة بمعنى رزان، وقد اشتهر العمل بأحد وأناة ونسى الأصل، يقولون: "في التانى السلامة". ومثل: أجم، الأصل: وجم، ومثل: أبل: أصله وبل (فسد)، جاء في الخبر: "كل مال زكى عنه ذهب أبلته" أى فساده وثقله. رأى بعض العلماء أن الواو المفتوحة قلبت ألفاً فى أحد، أجم، وأبل^(٣).

وقد عثرت فى بعض كتب اللغة على أرخت الكتاب، من ورَّخ، وأكد العهد: من وكد^(٤).

وزاد محمد بن القاسم كلمة آلاء الله، قيل من ألى، والأصل: ولى من أولاه الله معروفاً، فقلبت الواو الأولى فى "وولى" همزة، وذلك عند بناء فوعل منها، مثل: وَعَدَ: ووعد (وزن فوعل): أوعد، قلبت الواو الأولى همزة كراهية لاجتماع واوين^(٥).

(1) ارجع إلى: إعراب ثلاثين سورة، ابن خالويه، دار المنار ص ٢٢٩.

(2) المذكر والمؤنث، أبو البركات بن الأنبارى، حققه عبد الخالق عضية، وراجع الدكتور رمضان عبد التواب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ج ٢/٢٦، الحَقْو: الكشح، وقيل: معقد الإزار.

(3) إعراب ثلاثين سورة، ابن خالويه، دار المنار ص ٢٢٩.

(4) المحتسب ج ١/٣٤٨، والمبسوط فى القراءات العشر ص ٤٥٦، وقد رأى بعض العلماء أن أحد، وأناة وأبل لا رابع لهما، وقد زدت على ذلك أرَّخ وأكد، وأخى.

(5) إعراب ثلاثين سورة، ابن خالويه، دار المنار ص ٢٢٩.

وزاد أبو على الفارسي: وَجَمَ: أجم، ووج: أجم (اسم واد بالطائف). وزاد غيره أسماء (اسم امرأة) قيل أصله: وسماء زنة فعلاء من الوسامة، كما قيل لها حسناء^(١). وقلب الواو في فاء الكلمة نادر في اللغة؛ لأن أسباب الإعلال التي تستوجب قلبها انتفت لعدم سبقها بالحركات أو أصوات تستوجب قلبها.

والواو تقلب في عين الثلاثي همزة في بناء اسم الفاعل نحو: قال يقول: قائل، والأصل: قاو، عال يعول: عائل، عاد يعود: عائد، ويطرد هذا في كل موضع.

وتقلب الواو الساكنة في حشو الكلمة همزة في الجمع نحو: عجوز: عجائر، قلبت همزة لسكونها في المفرد، وتوهما ذلك في مصائب، والقياس مصابوب، فالمفرد مُصِيبَةٌ، وزن مُفْعِلَةٌ، فالواو متحركة في المفرد، فانتقلت حركتها (الكسرة) إلى الساكن قبلها فقلبت ياء في المفرد، وقد توهما أن مصيبة وزن فَعِيلَةٌ مثل: صحيفة، وحق فعيلة أن تقلب الواو والياء فيها همزة في الجمع مثل: صحيفة: صحائف، فإن كانت الواو والياء متحركتين بقيتا على الأصل، نحو: مصابوب ومعایش^(٢)، وهذا مطرد يقاس عليه.

وقد قلبت الواو همزة سماعاً عن بعض لهجات العرب النادرة، أنشد أبو على الفارسي قول جرير^(٣):

أحب المؤقدين إلى موسى وجعدة إذا أضاءهما الوقود

الشاهدان: مؤقِد ومُؤسَى، والأصل: موقِد وموسَى، ومنه قولهم: السُّوقُ، وأدور، والأصل: السوق وأدور جمع دار، وهذا مما لا يقاس عليه^(٤).

وتطورت الواو ألفاً في حشو الكلمة نحو: قال، عاد، خال، قلبت الواو ألفاً

(1) المختب جـ ١/٣٤٨.

(2) ارجع إلى: الكتاب جـ ٤/٣٥٦.

(3) الكتاب ٤/٣٥١، سر الصناعة جـ ١/٩٠، والمختب جـ ١/٤٧.

(4) المختب جـ ١/٤٧.

لانفتاح ما قبلها، وقلبت ألفاً في آخر الكلمة نحو: غزا، دعا، غدا.

وقلبت ألف في ياجل من وجل فالواو في فاء الكلمة وسبقتها فتحة فقلبت ألفاً في الفتح، والمشهور فيها يوجل^(١).

وتقلب الواو المتطرفة بعد ألف همزة، فكل واو أصلية في لام الكلمة تقلب همزة بعد ألف زائدة نحو: دعا: دعاو: دعاء، وكسا: يكسو: كساء، وصحت الهمزة في الخطاب المعاصر: الكساء الشعبي. ومثله الحساء، والسماء.

وقلبت الواو همزة في دماء، والأصل: دماو يقال: دموى ودموان. تطرفت الواو بعد ألف زائدة فقلبت همزة^(٢).

وتطورت الواو في لام الكلمة فصارت ألفاً في: علا: علوت، غدا: غدوت، رحا: رحوت (وورد فيها رحيت)، وزنا: زنوت (وورد فيها: زنيت)، دعا: دعوت.

وقلبت ألفاً في حشو الكلمة نحو: قال، والأصل: قَوْل وزن فَعَل، قلبت ألفاً لتحركها بالفتح وفتح ما قبلها. وعاذ، والأصل: عَوِذ وزن فَعِل، أبدلت الكسرة فتحة ثم وقع القلب.

ومثلها الواو في عين افتعل واستفعل، وما يشتق منهما نحو: اعتاد، استجار واستنار واستشار، وهذا مطرد في كل موضع.

وقد تطورت الواو ياء في بعض المواضع وفيها قانون مطرد، فالواو تقلب ياء إذا كانت ساكنة قبل ياء متطرفة نحو: لوى: لية، طوى: طية، والأصل: لَوِيَّة، طَوِيَّة.

وتقلب الواو ياء في بناء فَيَعَل نحو: مَيَّت، سيَّد، والأصل: مَيِّوت، سيِّود. ومثلها: قِيم، والأصل قيوم. وحيَّى: فَيَعَل من حويت^(٣). قلبت الواو ياء لقوة الياء، وليكون البناء من وجه واحد، والياء أخف من الواو في الأداء فهربوا إلى الأخف.

(1) الكتاب جـ ٤/٢٣٨، وسر الصناعة جـ ١/١٤٠.

(2) شرح الشافية جـ ٣/٧٥، والتتمة في التصريف ص ١٢٢.

(3) شرح الشافية جـ ٣/٩٣، أصل حيَّى: حيوى كدحرج، قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقلبت الواو ياء لاجتماعها مع الياء وسبق إحداهما بالسكون، ثم أدغمت الياء في الياء، فصار حيَّى.

وقلبت الواو ياء لُجىء الكسرة قبلها فى: ميعاد، ميزان، ميقات، لأن الكسرة أخف من الضمة، ولجىء الواو ساكنة بعد الكسرة؛ فىسر ذلك من قبلها ياء. والمد والقصر نحو: مِيَاء ومِينَى (مَرْفَأُ السفن). وأصلها: مَوْنَى وزن مِفْعَل، فقلبت الواو الساكنة ياء لُجىئها بعد كسرة، ومثلها: المَيْسَم (أثر الحُسْن) من وسم "تنكح المرأة لميسمها" من الحسن. ومثلها: الميعاد (من وعد).

واختلف العلماء فى سبب قلب الواو ياء فى قِيل، والأصل فى المجهول أن يضم أوله ضرب. وبعض العرب يقول: قُول وُبُوع فى المجهول، فحملوا الياء فى بوع على الواو فى قول، ومن قال يبيع، استوجب كسر ما قبلها لتمكين مد الياء، ثم حملت الواو فى قول عليها، فكسر ما قبلها ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة، وقيل استثقلت الكسرة فى قُول، ويبيع، فنقلت إلى ما قبلها؛ لأن الكسرة أخف من الضمة، فقلبت الواو ياء، مثل ميزان وميعاد^(١).

وقلبت الواو فى الدنيا والعليا والقُصْيا ياء طلباً للخفة، وهى من دنوت، وعلوت، وقصوت، فأصل الألف فى دنا، وعلا، وقصا واو^(٢). ودنيا وعليا وقُصْيا وزن فُعْلى، فالألف الأخيرة ألف التانيث المقصورة، الواو لام الكلمة، فقلبت ياء لُجىء ألف التانيث المقصورة بعدها^(٣).

والواو فى حيوان قيل أصلها ياء، فالواو بدل من ياء عند سيبويه، أبدلت منها لتوالى الياءين، وأبدلت من الثانية لكرهية توالى الأمثال. ورأى المازنى أن واو حيوان أصل وليست حيتت دليلاً على كون الثانية ياء، فالياء فى سقيت ورضيت ليست أصلاً بل قلبت الواو فيها ياء لانكسار ما قبلها، وقد رأى سيبويه أن الياء أصل لعدم النظر^(٤).

(1) ارجع إلى: شرح الكافية جـ ٢/٢٥١.

(2) سر الصناعة جـ ١/٨٩.

(3) الكتاب جـ ٤/٢٢٩.

(4) شرح الشافية جـ ٣/٧٣.

ومن ذلك تصغير هنة: هُنَيْهَة، والأصل: هُنَيْوَة، ثم قلبت الواو ياء- كما قلبت فى عُرْيَة- تصغير عُرْوَة، ثم قلبت الياء المقلوبة عن واو هاء، فصارت هنيهة^(١). أيتق من أنوق جمع ناقة فوق قلب أوُنُق، فقلبت الواو ياء: أيتق، فوقع فيها إعلال بالقلب والإبدال^(٢)، وقلبت ياء فى: ييجل من وجل وقلبت ياء فى اسم الفاعل من غاز، داع، غاد^(٣). وقلبت ياء فى المصدر من حال: حياًلاً، قام: قياماً، قلبت؛ لأنها معتلة فى الفعل حال (أصلها: حول). وجمع سوط: سياط. وثوب: ثياب، روضة: رياض، فقلبت لسكونها فى المفرد، مثلما قلبت فى قولهم: ييجل من يُوْجِل، وهذا ليس مطرداً، فقد سمع ما يخالفه نحو: زوج: زَوْجَة، ثور: ثَوْرَة، قيل لم تعل لمجىء الكسرة قبلها.

وقلبت الواو المُضَعَّفة ياء، وهو ما يعرف بقانون المخالفة الصوتية للتخلص من التضعيف، نحو: ديوان من دَوَان. اجلواذ (الإسراع): اجليواذ^(٤). وهذا قليل لا يقاس عليه.

وتطورت الواو فى آخر الكلمات فصارت ألفاً وياء، ومن ذلك قول العرب: "أتيتك من علا"، قلبت ألفاً لتطرفها وانفتاح ما قبلها، والأصل "علو" قال غيلان بن الحارث^(٥):

فهى تنوش الحوض نوشاً من علا
وصارت ياء فى قول امرئ القيس^(٦):

مَكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل

(1) سر صناعة الإعراب جـ ٥٦٠/٢، والمتع لابن عصفور ٤٠٠.

(2) الخصائص جـ ٨٢/٢، ٨٣.

(3) الكتاب جـ ٢٣٩/٤.

(4) شرح الشافية جـ ٨٥/٣، وسوف نتناول ذلك فى المماثلة الصوتية والمخالفة.

(5) الكتاب لسيبويه، ٤٥٢/٣، واللسان: مادة نوش. والإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى ص ٤٦. وناش: طلب،

وأجواز مفردها: جوز: وسط، ومعبر.

(6) شرح المعلمات السبع، للزوزنى ص ٣٠.

ومثلها الواو فى الحمؤ صارت ألفاً وياء فى كلام العرب: الحمأ، والحمى^(١)، جعلها من يفتحون ألفاً وصارت ياءً فى لسان من يكسرون آخر الكلمة، وهى فى لسان شمال مصر بالألف لميله إلى الفتح.

وأبدلت الياء من الواو فى قول العامة فى جمع منارة: مناير، والأصل: مناور. ويقولون: جيعان، والأصل: جوعان، ويقولون: أرياح (جمع ربح)، والمشهور فيها: رباح، وأرياح. وقد تجمع على أرواح؛ لأن أصلها الواو.

ورجح ابن مكى أرواح، واستدل بقول الشاعر حميد بن ثور الهلالي^(٢):

تلوم ولو كان ابنها قنعت به إذا هبّ أرواح الشتاء الزُّعازِعِ

والياء فى رباح مبدلة من الواو، وكذلك فى ربح، وقد قلبت الواو فىهما ياء لانكسار ما قبلها، كما حدث فى ميزان وميقات، ويقولون مات موتة، والصحيح ميتة مصدر الهيئة على وزن فعلة قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

ويقولون فلان أصيت من فلان أى أشد صوتاً، والأصل: أصوت، بالواو^(٣)، والعامة تقول: صيّت، والأصل: صويت وزن فعيل قلبت الواو ياء ثم أدغمت فى الياء، وصيّت أى: شديد الصوت.

وصحت الواو ولم تعل فى بعض الكلمات، وسمع ذلك عن العرب وهذا قليل، فقد وقع الأصل فى بعض الكلمات النادرة نحو: استحوذ: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩] استحوذ من الحوذ والقياس استحاذ مثل: استقال، واستروح، واستنوق، والقياس: استناق، وأجود: والقياس أجاد (أحسن)، وأطول (أطال)، واستروح (شم الرياح): استراح. والعامة تقول: استعوق بمعنى استأخر أى منعه مانع فتأخر، واستذوق، من الذوق. واستعور بمعنى أعور.

(١) الإبدال ص ٤٩.

(٢) تنقيف اللسان ص ٩٧، ٩٨، ولحن العامة للزبيدى ص ٢٥، ٢٦، الزعاع: الريح الشديدة.

(٣) تنقيف اللسان ص ٩٨.

والعمل بالأصل صح عن بعض تميم يقولون: مديون، معيود، مقيود، معيون، مبيوع، وجاز ذلك للدلالة على التحول والصيرورة نحو: أجود، صار ذا جواد، وأغول: توحش^(١)، وهذا قليل في اللغة، ومخالف للمشهور الذي يطرد فيه قلب الواو ألفاً بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها في وزن استفعل نحو: استعاد، والأصل: استعود، ومثله بناء افتعل، تقلب الواو المتحركة بالفتح فيه ألفاً، وهذا يطرد في كل نظير. ولا يدخل في ذلك الوصف بأفعل نحو: أسود، أهوج، أعوج؛ لأنه شبيه بأفعل التفضيل ويحمل عليه في عدم التصرف، ولشابهته له في المعنى، وحمل عليه أقوم، استقوم، وجاء الأصل فيه: أجودت، وأطولت.

وجاء الأصل في بناء افتعل نحو: اجتوروا، وتجاوروا، واعتوروا القوم الشيء وتعوروه وتعاوروه: تداولوه بينهم. واعتونوا بمعنى تعاونوا، واختنونا بمعنى اختنونا، واشتوروا بمعنى تشاوروا، والاعتلال هو الكثير المطرد.

ولم يعمل اسودّ، واعورّ؛ لأنه لا ثلاثي لهما يعمل ههنا، وإعلال الواو يتطلب نقل حركتها إلى الساكن قبلها، فيلتقى ساكنان الألف والحرف الأول من المضعفين، فيفسد البناء، وهذا ممتنع^(٢).

والصوت المضعف يقوى في موضعه فلا يحذف ولا يقلب وتظهر فيه حركات الإعراب نحو قولهم: اجلوّد (ذهب) ومصدره: اجلوّد. صحت الواو دون قلب؛ لأنها لما أدغمت فيما بعدها قويت ولم تقلب، واخروّط (ركب رأسه): اخروّط، صحت الواو؛ لأنها مضعفة فضاغت الأصوات الصحاح، فصحت في موضعها مع فتح ما قبلها في الفعل، وكسر ما قبلها في المصدر، وحقها أن تقلب ألفاً إن فتح ما قبلها، وأن تقلب ياءً إن كسر ما قبلها؛ لأن الإدغام قد حصنها عن القلب^(٣).

(١) الكتاب جـ ٤/٣٤٦.

(٢) شرح الشافية جـ ٣/٩٩، والكتاب جـ ٤/٣٤٧.

(٣) سر الصناعة جـ ١/٣٠، اجلوّد الليل: ذهب، اجلوّد بهم السير دام مع السرعة فيه، شرح الشافية جـ ١/٥٥،

وحق الواو أن تقلب ألفاً إن تحركت بالفتح وفتح ما قبلها، نحو: قَوْل: قال، وتقلب أيضاً إن سكن ما قبلها وتحركت بالفتح نحو: إقوال (مصدر أقال): إقال ثم إقالة (حذفت إحدى الألفين و عوض عنها بقاء العوض عن المحذوف)، وقد انتقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها فبقيت ساكنة بعد فتحة فقلبت ألفاً، فالتقت ألفان فحذفت إحداهما لسكونهما.

وليس هذا القلب مطرداً في كل موضع، فقد تصح الواو المتحركة وقبلها ساكن، فوزن أفعل الأجوف الواوى لا تقلب واوه.

وقد سلمت الواو من القلب، وهى ساكنة بعد فتحة فى سَوَط، حَوْض، تَوْب، ذلك أنها لم تجاور الألف فى نحو: إقالة، فلم تقو الفتحة لخفتها، وقوة الواو ولكنها قلبت ألفاً فى قَوْل؛ لأنها مفتوحة وسبقت بفتحة، فقويت الفتحتان فقلبت الواو صوتاً من جنس الفتحة، ودل صحة هذا الرأى أنها لم تقلب ألفاً فى عَوْض، حَوْل. غير أن الواو المكسورة تفتح وتقلب ألفاً لتجانس الحركتين المتجانستين، ومن ذلك خاف أصلها: خَوْف وزن فَعَلَ، قلبت الكسرة فيها فتحة، فقلبت الواو ألفاً لتحركها بالفتح ومجيئها بعد فتحة⁽¹⁾.

وقلبت الواو المضمومة ألفاً لتجانس الفتحتين فى الماضى من طال، أصلها: طَوْل وزن فَعَلَ اللازم. والكسرة فى الواو فيها ثقل بعد فتح وكذلك الضمة فيها، فقلبت تيسيراً فتحة لتجانس الفتحة قبلها، ولكنها لم تقلب فى عَوْض وحَوْل؛ لثلا تدخل فى لفظ غيرها، والواو إن قلبت فيها ياء ثقلت؛ فلا تقول: عَيْض وحَيْل لصعوبتها، ودخول الأخيرة فى معنى آخر.

ولا يعل مثل النزوان والغليان للزوم الألف والنون، فصارت اللام فى حشو الكلمة، فلم تقلب ألفاً لعدم طرفها قياساً على الجَوْلان والطيوان. ولا يعتد بالحرف غير اللازم فى الكلمة، ومن ثم أعلنت اللام فى غُزاة وتقاة،

(1) كتاب سيبويه جـ ٤/٣٦١.

لعدم لزوم التاء، وقلبت بعد الألف الزائدة إن كانت متطرفة نحو: كساء ودعاء.
وتلزم الواو في الجمع الذي تلاه ألف زائدة في منتهى الجموع نحو: واو بوائج
وزن فواعل، فالواو زائدة للدلالة على منتهى الجموع وقلبها يذهب بوظيفتها.
وقلبت الواو همزة في عجائز، والأصل عجاوز للفرق بين الزائد والأصلي،
فالأصل عجز، ولا تعل الواو الأصلية في نحو: مقامة: مقاوم من قوم.
وإن كانت زائدة للإلحاق لا تعل نحو: جدول وزن فوعَل فلا تعل في الجمع
جداول، ولم تعل الواو والياء في طواويس جمع طاووس لبعدها من الطرف^(١).
ومنعت الواو في حوَل وزن فَعَل وَعُوَّار وزن فَعَّال؛ لأنها مضعفة، والملحق:
فَعوَل نحو: جدول، لم تقلب؛ لأنها متحركة في المفرد والجمع جداول.
ولم تقلب واو فَعوَل نحو: قوول ويووع؛ لأنها زيدت لبناء الجمع، ومثله بناء فَعوَل
نحو: شيوخ، وحوَل، وسووق.
ولم تقلب في نواز وجواب، لحيء الألف بعدها، قياساً على ما كانت عينه ياء نحو:
قيام.

ولم تعل في فعيل نحو: طويل، وقويم، وسويق، ليقع فيها الكسر قبل الياء. ومفعَل
نحو: مقوَل، ووزن فَعَّال نحو: طُوَال وفِعَّال: خوان. وطاووس وناووس وسايور وزن
فاعول^(٢) ومثله: السَّيِّرة (كثير السير).

ولم تهمز واو مَقَاوِل؛ لأنها ليست بالاسم على الفعل فتعتل عليه، فهو جمع مَقَالَة
والواو في الأصل متحركة، فجمعت على الأصل فمقالة وزن مفعلة، فانتقلت الفتحة
إلى الساكن قبلها فقلبت ألفاً^(٣).

وحذفت الواو لضعفها في بعض المواضع، ومنها: يعد ويلد، والأصل: يُوْعِد
ويُوَلِد، فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، ووقع الأصل في بعض الكلمات

(1) شرح الشافية جـ ٣/١٠١، ١٠٢.

(2) الكتاب جـ ٤/٣٥٤، ٣٥٥.

(3) نفسه جـ ٤/٣٥٥.

مثل: يُوَجَل ويُوَحَل، وبعضهم قال فى الفتح ياجل وياحل^(١). ويقولون: وُدُع (سكن واستقر ولان) يودع، والمصدر دَعه. وَطُو: يوطؤ، وطأة (سهل ولان).

والأصل أن تحذف الواو فى المضارع لاستئصال وقوعها بين ياء مفتوحة وضممة، ولم تحذف فى ودع فى فَعُل للدلالة على الطبع، والحذف لا يدخل فى تطور الصوت؛ لأنه انتفاء للصوت من النطق بيد أن الحذف يدخل فى تطور الأبنية.

وقلبت الواو صوتاً صحيحاً، ليقوى فى موضعه، فقد قلبت تاء فى بناء افتعل ومصدره افتعال، والتاء صوت لثوى أسنانى شديد مهموس والواو صوت شفتانى مجهور، وقد وقع تطور فى وزن افتعل فيما كانت فاؤه واواً أوياء أصليتين، فبعض العرب قلبوا الواو والياء تاء من جنس تاء افتعل، ثم أدغموا التاء الأولى فى الثانية فى جميع المشتقات من افتعل نحو: اتصل (أصلها او متصل)، يتصل: اتصال، متّصل. ونحو: اتسر (أصلها ايتسر): يئسر: اتسار، ومتّسر، وقد قلبت الواو تاء لتجانس التاء فى افتعل؛ فجذبت التاء الواو إليها فصارت تاء، والواو صوت شفوى والتاء صوت لثوى أسنانى، وقد قلبت الياء تاء وهى صوت غارى فى اتبس (ايتبس) واتسر (ايتسر).

وبعض العرب يقولون: او متصل، او اتصال، وايتسر وايتسار، وهو الأصل، والشائع الأول الذى انتهى إليه البناء^(٢)، ونحو: وعد: او تعد، ثم استقر فى الكلام "اتعد"، وقد أدغمت التاء المقلوبة عن واو فى تاء افتعل^(٣). وقد أبدلت تاء؛ لثلاثاً بتغير حركة الحرف الذى يسبقها فيقال مثلاً: أو تعد، وإيتعد، يأتعد، فقلبت تاء لتستقر على حالة واحدة، وبعض العرب يجريها على الحركة فيقولون: ايتعد، ويوتعد، ويأتعد، والأقيس أن تقلب تاء، وبه لغة أهل الحجاز التى نزل القرآن الكريم بها^(٤).

(1) شرح الشافية جـ ٣/٩٢.

(2) شرح شافية ابن الحاجب جـ ٣/٨٠.

(3) التتمة ص ١٢٥، والكتاب جـ ٤/٣٣٤.

(4) سر الصناعة جـ ١/١٤٨، وشرح الملوكى ص ٢٩٤.

ونحو: اتكل من وكل، والعامّة تقول: تكل واتكل، والأصل: اوتكل، ثم قلبت الواو تاء وأدغمت فى التاء بعدها، فصارت: اتكل مثل اتحد من اوتحد واتجه من اوتجه. تجاه من وُجاه. ويقول: تُكّال، والأصل: اتكل: اتكال، ويقولون فى المبالغة من وكل: تُكّال وزن فعّال والأصل: وكّال.

ومثله: أوكأ: أتكأ وزن أفعل، يقال: أتكأه: أعد له متكأ، والأصل: موتكأ وزن مفتعل من وكأ، وجاء عن بعض العرب: أوكأه، ويجوز العمل به؛ لأنه الأصل^(١). وإذا التقت واوان أبدلت الأولى تاء فى بعض الكلمات ومنها تولج من وولج وزن فوعل، أولج فقيل: من الولوج. يقال أتلجه: أدخله، وليست تولج وزن تفعل فليس اسم منها على وزن تفعل، والمشهور أنها وزن فوعل، وأوكأ: أتكأ، يقال: أتكأه: أعد له متكأ وذاعت لفظة "متكأ" ويجوز ترك الإبدال إلى الأصل: أولجه وأوكأه^(٢).

ومثلها: التقوى، قيل: أصلها: الوقوى. وزن فعلى من وقيت، واتقى وزن افتعل، والأصل: اوتقى، قلبت الواو تاء لتجانس تاء افتعل ثم أدغمت فيها واشتهرت فى الخطاب، والاشتقاق منها؛ لشهرتها، وترك أصلها، ويترد العمل بذلك فيما كانت فاؤه أو عينه واواً أو ياء، عندما تجاور التاء. وهذا التطور قديم فى العربية، قال الأعشى^(٣):

فإن تتعدنى أتعدك بمثلها وسوف أزيد الباقيات القوارصا
الأصل: توتعدنى، أوتعدك، والأعشى من قبيلة قيس، وينتهى نسبه إلى بكر بن وائل. وقال طرفة^(٤):

(1) الكتاب جـ ٤/٣٣٢.
(2) سر الصناعة جـ ١/١٤٦، والتتمة ص ١٢٧، ولسان العرب: ولج، ومادة: وكأ، والكتاب جـ ٤/٣٣٢، ٣٣٣.
(3) ديوان الأعشى ص ٢٠١، وسر صناعة الإعراب جـ ١/١٣٩، والباقيات: يريد قصائد يقولها فى الناس.
(4) ديوان طرفة ص ١٦١، وسر الصناعة ١/١٣٩.

فإن القوافي يتلجن مَوَالجاً تَضايقُ عنها أن تولجها الإبر

والأصل: يوتلجن، من ولج، وطرفة من بكر بن وائل أيضاً، وهذا القلب ليس لضرورة؛ لصحة الوزن على الأصل توتعد، ويوتلج.

وسئل الأحنف بن قيس: أى المجالس أطيّب؟ فقال: "ماسافر فيه البصر، وأندع فيه البدن"^(١). وقد قلبت تاء؛ لأنها إن لم تقلب تاء فسوف تقلب إلى صوت من جنس حركتها، فتكون واواً للضمّة قبلها، مُوتعد، وموتزن، ومُوتلج، وتكون ألفاً للفتحة قبلها: ياتعد، وياتزن، وياتلج، وتكون ياء للياء قبلها: ايتعد، وايتزن، وايتلج، وهذا فيه مشقة فقلبت الفاء إلى صوت جلد لا يتأثر بغيره، فجىء بالتاء لتشاكل تاء افتعل، فيقف المتكلم وقفة واحدة عليهما مدغمتين، والتاء لثوية أسنانية، فهى قريبة من مخرج الواو (الشفيتين)، ومخرج الياء (الغار)^(٢).

وبعض العرب يعملون الأصل دون القلب، وقد نسب العمل بالأصل إلى الحجاز، فهم يفرون من التضعيف إلى فك التضعيف، وقد ذكر بعض العلماء أن لهجة الإمام الشافعى كانت على الأصل، وهو من أصل حجازى (قريش)، ونشأ فى قبائلها (هذيل) قال فى باب "العلل فى الأحاديث"؛ يقول فى أنواعها: "وأخرى موثقة" يريد: متفقة.

ويقول فى البيان الثالث: "وتختلف سننه وتاتفق" يريد: وتتفق، وأصلها: توتفق، فقلب الواو ألفاً لتحركها بالفتح، ويقول فى باب "الحجة فى تثبيت خبر الواحد": "ولا نستطيع أن نزعم أن الحجة تثبت به ثبوتها بالمتوصل"، وقال فى باب القياس: "ايتفق المقاييسون فى أكثره"^(٣).

(1) الكامل جـ ١/١٠٢، والأحنف من تميم.

(2) سر صناعة الإعراب جـ ١/١٣٩.

(3) نقله صاحب اللهجات العربية جـ ١/٣٠٨ عن مخطوط الرسالة ص ١٢، ١٨، ٣١، ٢١١، ٤٦٤، ٤٧٩. ولد الشافعى بغزة ونشأ فى الحجاز.

وروى الكسائى عن بعض العرب: "الطريق ياتسق وياتسع" أى: يتسق ويتسع^(١).
وقد رجح كثير من العلماء أن العمل بالأصل من لغة أهل الحجاز. قال السيرافى:
"وبعض العرب من أهل الحجاز يلزم فى افتعل الأصل ولا يقلب الواو تاء"^(٢). وقد
قلبت الواو المفتوحة فيها ألفاً: ياتسق، والواو المكسورة قلبت ياء ايتسق^(٣).

وقلبت الواو تاء فيما سمع عن العرب ولم يطرد فيه قياس، فقد قلبت الواو تاء
فى بنت أصلها "بنو" فالتاء بدل من الواو وليست للتأنيث لسكون ما قبلها، والتأنيث
مستفاد من الصيغة "فُعَلْ"، وأصلها فَعَلَ^(٤)، ومثلها: أخت، التاء بدل من الواو،
وليست التاء فيها للتأنيث، ومثلها التاء فى: "هنت"، أصلها: هنو، ومثلها: "كلتا" التاء
بدل من الواو، ومثلها: أستتو، التاء فيها بدل من الواو، وقيل بدل من الياء فى أسنيو،
والياء بدل من الواو، وقيل بدل من الهاء، والأصل: سنه، سنهت النخلة: أتى عليها
سنون، وأستتوا بمعنى أجدبوا، أصل التاء واو، فجمع سنة: سنون، وإبدالها من الواو
أكثر، والحمل على الأكثر أولى^(٥).

أبدلت الميم من الواو إبدالاً غير مطرد فى: فم، والأصل: فوه، وزن سوْط،
فحذفت الهاء تخفيفاً كما حذفت من "سنة" فصار اللفظ "فوه" فلما بقى اللفظ على
حرفين الثانى منهما حرف لين، فامتنع حذفه للتونين لئلا يحذف اللفظ فيبقى على
حرف واحد فيشبه الحرف، فحلت الميم محل الواو؛ لأنهما من مخرج واحد (الشفيتين)،
وهما مجهوران ولا يحتبس فيهما الهواء^(٦).

وأبدلت النون من الواو ومنه قولهم فى النسب إلى صنعاء: صنعانى، والأصل:

(1) سر الصناعة ١/١٤٠.

(2) مخطوط كتاب: شرح السيرافى على سيبويه جـ ٥/٥٥٦، ٥٥٧ المكتبة التيمورية.

(3) ارجع إلى: الجاسوس على القاموس، فارس الشنديق، ص ٥٣٥.

(4) سر الصناعة جـ ١/١٤٩، ١٥٠، والتتمة ص ١٢٦.

(5) التتمة ص ١٢٨، واللسان: سنه، وسنا. والتبصرة والتكررة، لأبى محمد الصيمرى، تحقيق الدكتور فتحى
أحمد على النين، مركز البحث العلمى، جامعة أم القرى. مكة ط ١/١٤٠٢ هـ. دار الفكر، دمشق ص ٨٥٠.

(6) سر صناعة الإعراب جـ ١/٤١٣. والتتمة ص ١٣٤.

صنعاوى، وفى النسب إلى بهراء (اسم قبيلة): بهرانى، والأصل: بهراوى.
وقلب الواو نوناً فى النسب شاذ، فالقياس فى النسب أن تقلب همزة التانيث واواً
نحو: حمراء: حمراوى.

وقيل النون فى صنعانى، وبهرانى بدل من الهمزة، والأكثر على القول
الأول^(١).

وأبلى الهاء من الواو فى قولهم: ياهنأه، وهو (فَعَال) من الهنو: الفرح، والأصل: "هناو" فأبدلت الواو هاء، فقالوا: هناه^(٢).

وقد تعرضت أبنية كثيرة من الألفاظ للتغير بعد أن دخلت التركية متأثرة بالتركية
ثم دخلت منها إلى العربية بعد أن حرفت عن الأصل العربى، وهذا التحريف أصاب
بعض أصواتها، ومن ذلك: مرفت، والأصل: مَرَوَة، تأثرت الواو بالنطق التركى "فاو"
فصارت "V" فى أداء الكلمة، والتزمت تاء التانيث اللفظ وصلأً ووقفأً، فصارت
مرفت، ودخلت العربية بعد تتركها، ومثلها: تفيدة، والأصل: توحيدة، فقلبت الواو
صوت "V" ثم نطقت فى العربية فاء، ومن ذلك: "فلد"، والأصل: ولد.

رابعاً- تطور الياء :

صوت غارى، مجهور، مرقق، وقد تطورت تطوراً مطرداً وسماعاً فى نادر كلام
العرب، والياء فى أول الكلمة لا تقلب قياساً لخفتها متحركة، فالياء أخف من الواو،
فلم يقلبها العرب فى نحو: يئس، وييس، ولم يحذفوها فى موضع الفاء كما حذفوا
الواو فى يعد، ولم تحذف فى فواعل فى نحو: يوابس^(٣).

وقلبت الياء فى أول الكلمة همزة على غير القياس فى يد؛ فى خطاب العامة: إد،
وإيد، بقلب الياء همزة ثم مدوا حركتها (الكسرة)، وقالوا فى الجمع: إدين، وإيدين،
وإيد تحريف أدى (يدى).

(1) الممتع لابن عصفور ٣٩٥، التتمة فى التصريف ص ١٣٢.

(2) سر الصناعة ج ٢/٥٦١، والممتع ص ٤٠١، وشرح الشافية ج ٣/٢٢٥.

(3) الكتاب ج ٤/٣٣٨.

وجاء فى كلام العرب: "قطع الله أذية"^(١) فردوا اللام المحذوفة من الكلمة (الياء)، وأبدلوا الفاء همزة، والأصل: يدى، والجمع أيدٍ، وأيادٍ. ومثلها: يلل (عوج فى الأسنان نحو باطن الفم)، أبدلوا الياء فيها همزة: ألل، قالوا: "فى أسنانه ألل"، ورئبال (الليث) أصله: ريبال، فأبدلوا همزة من الياء، ومثلها: الشئمة: الشيمة (الخليقة)، وهذا قليل فى اللغة.

وقد يحمل الصوت الأصيل على الزائد فيقلب مثله قياساً عليه ومن ذلك لام تحية يقال فيها تحوى، فى النسب فقلبت لامها واواً لجمىء ياء النسب المضعفة بعدها. ويجوز ثنية ما همزته أصلية نحو: قرأء ووضاء: قرأوان ووضاوان تشبيهاً لها بالزائدة: حمراوان، وخضراوان، والقياس ألا تقلب همزة الأصلية ابتداءً، فالقياس فيها: قراءان، ووضاءان^(٢).

ويجوز أن يحمل حرف الإلحاق على الأصيل، فلا يقلب نحو: علباء (عصب فى عنق البعير): علباءان، ونحو: حرباء: حرباءان، لم تقلب همزة حملاً على الهمزة الأصلية ابتداءً، وأجاز بعض الكوفيين على هذا: حمراءان، وخضراءان حملاً على الهمزة الأصلية، والهمزة فى الإلحاق زائدة؛ وكذلك فى التأنيث، والأصل فى ذلك العمل بالمشهور.

والعامة تفر من الهمزة إلى الواو أو الياء تخفيفاً فى الأصيل والزائد، يقولون: منشاوى، والقياس منشائى، ورفاوى: والقياس: رفائى، وسماوى ويجوز: سمائى وسماوى، لكنهم آثروا الواو تخفيفاً.

وقد صح صوت الهمزة فى بعض الكلمات الفصيحة فى الخطاب اليومى مثل: غنائى، وقضائى، ورجائى، وفدائى، وعدائى، والنسب إلى: راية، ونهاية، وسقاية: رائى، ونهائى، وسقائى^(٣).

(1) سر الصناعة جـ ١/٩٢.

(2) الأشباه والنظائر جـ ١/٣٨.

(3) التتمة ص ١٢٢، القياس أن لا تقلب الهمزة الأصلية فى النسب، ويجوز الهمز والواو إن لم تكن أصلاً.

وتبدل الهمزة من الياء على غير قياس مطرد أولاً وحشواً وآخرأ نحو: قطع الله أديه، والأصل: يديه، والعامّة تقول: أدين، ونحو: فى أسنانه أَلَل، والأصل: يلل (قصر فى الأسنان) ونحو: الشثمة، والأصل: الشيمة (الخليقة) وجمعها: شيم.

ويقال: رمح يزنى: أزنى (منسوب إلى ذى يزن)^(١). ويلمّم وألمم (اسم جبل). ويثرب وأثرب، وأثربى. ويسروع وأسروع (اسم دويبة).

وقد تطورت الياء فى بعض الأفعال ألفاً نحو: طوى: طويت، لوى: لويت، حوى: حويت، شوى: شويت، روى: رويت، نوى: نويت، حوى: حويت، ذوى: ذويت. وتبقى ألفاً فى أفعل نحو: ألوى، أحوى، أغوى، أقوى. وقلبت الياء ألفاً فى جمع دواية وسقاية: دوايا، وسقايا.

والقوّة: الأصل فيها: القوى، فقلبت الياء الأخيرة (قويت) واواً، ثم أدغمت الواو الأولى فيها، وهذا جائز فى السماء. ومثلها: حوّة من حويت، خرجت من الفعلية التى كانت عليها للاسمية التى صار إليها، فعدل عن الأصل للاسمية^(٢).

والنسب إلى طيء: طائى على غير قياس، وطيء (اسم قبيلة) وزن فيعل، أصله طاء (طوء) الهمزة فيه أصلية، والنسب إليه طائى (قياسى)^(٣) وقيل الأصل: طاء وواو، فقلبوا الواو ياء ثقيلة فالأصل: طوى.

وذهب ابن جنى إلى أنه من طاء يطوء: ذهب، وجاء، وليس أصله من الطوى، بل طيوى، فقلبت كسيد (سيود) وميت (ميوت). والنسب إليه طائى، والقياس فيه طيئى، كطيئى، فحذفت العين تخفيفاً، فبقى طيئى، وأبدلت الياء ألفاً استحساناً لا وجوباً عن قوة العلة فى "طيئى" فصارت طائى، ومثلها: الحيرة: حارى، والأصل: حيرى، فقلبت الياء ألفاً استحساناً، ورد قول من قال إنها من طوى^(٤).

(1) ارجع إلى: الإبدال، لأبى يوسف يعقوب بن السكيت، الهيئة العامة للطابع الأميرية ص ١٣٦.

(2) سر الصناعة ج ٢/١٢٩.

(3) العين ج ٧/٤٦٧، والاشتقاق لابن دريد ص ٣٨٠.

(4) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكرى، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ج ١/٤٧٩.

وتقلب الياء واواً إن سبقت بضممة فى اسم الفاعل من أفعل على وزن مُفْعِل نحو: مُوقِن، مُوسِر، واسم المفعول مُوقِن، وموسِر. والمضارع: يُوقِن، يوسر. قلبت واواً؛ لأنها ساكنة قبلها ضمة، وقلب ياء فى المبنى للمجهول لانكسار ما قبلها نحو: خيف، وقيل^(١).

وحياة قلبت الواو فيها عن ياء فى العلم خاصة؛ لأن الأعلام كثيراً ما تغيّر إلى خلاف ما يجب أن تكون عليه الكلمة، وقيل الواو فيها أصل، والأرجح أنها قلبت عن ياء، فالأصل: حىي، وحييان، وحيّان. ويقولون سُوّاح، والصواب: سُوّاح من مادة ساح يسيح، فأصل الألف ياء، مفردها: سائح. وجمعه: سائحون. وقد جمعت على فُعّال، نحو: ناظر: نُظّار. حاكم: حُكّام.

والياء فى الجمع لا تقلب واواً بل تكون على الأصل. ويقولون: كلوة، وخصوة، والأصل: كُلية، وخصُية، ويقولون: رقة، والأصل: رُقِية^(٢).

وصححت الياء دون قلب، فلم تعل إلى الألف أو الواو ولم تبدل همزة فى نادر كلام العرب والأصل فيها الإعلال، ولكن بعض العرب التزم الأصل: أخيل، وأغيل، وأغيم (أغام)، أطيّب (أطاب)، وهذا شاذ؛ لقلته.

ولا يدخل فى ذلك أفعل نحو: أبيض، أبيع؛ لمشابهته أفعل التفضيل فى المعنى والمنع من الصرف، وحمل عليه أبيض واستبين، وأعين بمعنى أصيبت عينه فبقى على الأصل للتفريق بينه وبين أعان من العون والمصدر الإعانة.

ولم تقلب الياء فى بَأيَع وتبايع؛ لأنه من غير الثلاثى: بيع باع؛ لأن الياء أصل، وقد سكن ما قبلها الألف وهو فرع زائد، وقد سبقت الياء بساكن فامتنع قلبها ألفاً؛ لثلاثي تحذف، وقد جىء بالألف زائدة لوظيفه، وحذف إحدى الألفين تنتفى به الوظيفة الصرفية، فبقى صوت الياء على الأصل^(٣) للحفاظ على ألف المفاعلة للدلالة على

(١) سر الصناعة ج١/٢٩، والكتاب ج٤/٢٤١.

(٢) تنقيف اللسان ص٩٧.

(٣) ارجع إلى: شرح الشافية ج٣/٩٨.

المشاركة والتعدى، والحذف يمتنع في المواضع التي يتغير فيها المعنى، وإن قلبت الياء همزة مثل التباس المعنى بغيره، وقد يكون دليلاً على المعنى، نحو: أخال وأخيل، فالأول بمعنى صار خالاً وعائلاً من الخول والتهيؤ، والثاني: أخيلت السماء: تهيأت للمطر، إذا أرعدت وأبرقت، وأخيلت الأرض: امتلأت خيلاً أو كثرت بها الخيل مثل: أبطخت، وأذابت، والعمل بالأصل صح عن بعض العرب نحو: أخيل: صار ذا خيل، وأغيم: صارت ذات غيم.

والياء الساكنة لا تقلب في نحو: بيع، لقوة الياء ولضعف الفتحة، ولكنها قلبت واواً في مؤسّر وموقن، لوقوعها بين ضم وكسر، فكرهوا الياء بعد الضمة، فأبدلوها واواً؛ لأن الضمة بعض الواو وقد بدأت بها، فتوقعت الواو بعد الضمة. ولكنها لم تقلب في غير وعُبية؛ لأنها لما تحركت قويت في موضعها، فأنت الياء بعد ضمة. وتقوى الياء بالتضعيف؛ فلا تقلب واواً بعد ضمة نحو: قُرون لِيّ (جمع ألوى). صحت الواو الأولى الساكنة؛ لأنها قويت بالإدغام فحصنها عن القلب، وتقوى أيضاً إن كانت ساكنة بعد فتحة نحو: بَيْت، وقيد، وشيخ، فلم تقلب؛ لأنها أقوى من الفتحة، وهى ساكنة وإن جاورت ياء أخرى متحركة فلا تقلب نحو قول امرئ القيس⁽¹⁾:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملنى
جرداء معروقة اللحيين سرحوب
وأرى أنها قويت لمجيئها حرف إعراب، فإن حذفت أو تغيرت، ذهب عملها إضافة إلى أنها ساكنة.

جاءت الياء الساكنة رداً للمتحركة فلم تقلب لخفة الفتحة؛ ولجئ الياء ساكنة بعدها، ولكنها إن تحركت فتحت نحو: بيع: باع، وهيب: هاب.
ولا تعل الياء فى بناء مِفْعَل نحو: مِحْيَط ووزن مفعال: مخياط. ولا تعل فى فعالن لتوسطها نحو: غليان، حيدان، وطيران، لم تعل؛ لثلا يلتبس بفعال.

(1) الديوان ص ٢٢٥، وسر الصناعة ج ١/٣١، واللسان: عرف. والغارة الشعواء: الغاشية المنقرقة، ومعروقة اللحيين: عرى لحياها من اللحم. السرحوب من الخيل: العتيق الخفيف.

وصحت الياء ولم يقع حذف في الفتيات؛ لثلا يلتبس بالمفرد، وصحت الياء دون حذف في تحية للتضعيف وصحت كذلك في عبيّ وحييّ، والجمع: أعياء وأعياء، وأحياء وأحياء. وجمع حياء: أحيية وأحيية؛ فيجوز الإدغام والفك. ومثنى الحيا (الخصب والمطر): حيان مثل: فتى: فتيان^(١).

وتسلم الياء المضعفة من القلب لقوتها نحو: سئيل (جمع سائل من سال) ومئيل (جمع مائل من مال)، وعئيل (جمع عائل)، ولئى (جمع ألوى: المعوج)^(٢).

ولم تعل الياء في جمع معيشة: معايش؛ لأنها أصل في المفرد، ومتحركة فيه، ومثلها: مخيلة: مخايل، ولم تعل في عيائل جمع عئيل (مثل سيّد وميّت وهين) وزن فيعل من عال يعول؛ لأنها في المفرد لها حركة وقلبت في جمع كبيرة: كباثر؛ لأنها ليست لها حركة في المفرد^(٣).

وقلبت الياء إلى أصوات صحيحة، ومنها: التاء، وهى صوت أسنانى لثوى، وقد قلبت الياء تاء مما فاؤه ياء في صيغة افتعل نحو: يسر: ايتسر، ثم ائسر، والأصل: ايتسر، فأبدلت الياء تاء، وأدغمت في تاء "افتعل"، والعلة في قلبها عدم استقرار فاء الفعل على صورة واحدة لو لم تبدل؛ لأنك تقلبها بحسب حركتها، ومن العرب من يجربها على القلب ولا يبدلها تاء فيقول: ايتسر، ويوتسر وياتسر، والمشهور قلبها تاء^(٤) وحكمها في ذلك حكم الواو. وأبدلت التاء من الياء في بعض الكلمات النادرة، ومنها: ثنتان، أصلها: ثنيان، فأبدلت التاء من الياء، يقال: ثنى، وكنت، أصلها: كيّة، وذيت، أصلها: ذيّة^(٥)، وقيل أصل الياء هاء.

(1) شرح الشافية جـ ١٢٢/٣.

(2) شرح الشافية جـ ٨٧/٣.

(3) الكتاب جـ ٣٤٩/٤، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦.

(4) سر الصناعة جـ ١٤٨/١.

(5) سر الصناعة جـ ١٥٢/١، والتتمة ص ١٢٧، ذيت من ألفاظ الكنايات، نقول: فعلت كيت وكيت أو ذيت وذيت، وهما كناية عن القصة أو الأحدثة، وقيل أصل التاء في كيت هاء، مثل ذيت والأصل كيّة، وذيّة، فصارت تاء في الوصل، اللسان م ٣٧/٥، وم ٧٧٥/٩.

وقيل: التاء فى أستتوا بدل من الياء: سنى، لقولهم: تسنيت عنده إذا أقت عنده سنة، والمشهور فيها أنها بدل من الواو^(١) وهذا قليل غير مطرد.

وأبدل بعض تميم الجيم مكان الياء فى الوقف مضعفة وخفيفة وذلك؛ لأن الجيم من مخرجها (الغار) والجيم أظهر فى الأداء من الياء لخفة الياء، ومما روى فى ذلك قول شاعرهم (قيل من بنى سعد)^(٢):

خالى عُوَيْفٌ وأبو عِلْجٍ الْمُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِ
وبالغَدَاةِ فَلَقَ الْبَرِجِجِ يُقْلَعُ بِالوَدِّ وبالصِيصِجِ

والشواهد: أبو عِلْجٌ، والعشِجُ، والبرِجِجُ، والصِيصِجُ، يريد: أبو على، العشى، البرنى (نوع جيد من التمر)، الصِيصِى (واحد الصياصى: قرون البقر). وتبدل الياء الخفيفة جيماً فى لهجة بعضهم، وأنشد أبو زيد فى ذلك^(٣):

ياربَّ إن كنت قبلتَ حَجَّتِجُ فلا يزالُ شاحِجُ يَأْتِيكَ بَجُ
أقمر نهاتٍ يُنْزَى وَفَرْتِجُ

والشواهد: حَجَّتِجُ، بَجُ، وفرتِجُ، أراد: حَجَّتِى، بى، وفرتى، وقد قلبت الياء الخفيفة جيماً؛ لأنها أبين الحروف^(٤)، والجيم من مخرج الياء وأبين منها فى الصوت. وتميم تبدل الياء هاء فى "هذى" يقولون فى الوقف: هَذِهِ بسكون الهاء، وأبدلت الياء هاء لخفاء الياء بعد الكسرة فى الوقف، والهاء بعدها أظهر منها، وقد أبدلت هاء لقرب الهاء من الألف التى هى أخت الياء فى المد، وترد الياء فى الوصل يقولون: هذى هند؛ لأن ما بعد الياء يبينها وقيس وأهل الحجاز يجعلون الوقف والوصل سواء

(1) سر الصناعة جـ ١/١٥٢، ١٥٣.

(2) الكتاب جـ ٤/١٨٢، شرح الشافية جـ ٢/٢٨٧. والبيتان منسوبان لبندوى راجز لم يعينوه، وعلق: جمع فلقة وهى القطعة، ويرى فى موضعه. كُتِلَ: جمع كتلة. البرنى: نوع من أجود التمر، الود: أصلها: الودت، قلبت تأوّه دالاً ثم أدغمت فيما بعدها، والصيصى مفرد صياصى وهى قرون البقر.

(3) شرح الشافية جـ ١/٢٨٧، الشاحج: البغل أو الحمار، ويروى مكانه: شامخ، الأقر: الأبيض، والنهات: النهاق، والنهيت والنهيق واحد. ينزى: يحرك، وفرة: الشعر إلى شحمة الأذن.

(4) كتاب سيبويه جـ ٤/٢٨٠.

بالهاء. ولكن قلب الهاء من الياء لا يطرد في كل ياء كما اطرده قلب الياء من كل ألف في لهجة طيء في الوقف، وقد تشبه هاء هذى بهاء المذكر المكسور ما قبلها فتشبع مدأً قياساً على قول بعضهم: بهى وفرسهى فتوصل بياء في الوصل: "هذهى" وتحذف الياء في الوقف "هذه"^(١) في قولهم: هذيه بسكون الهاء، فالهاء ليست بزائدة بل بدل من الياء في "هذى"، وهذا يقع في المقطع المفتوح آخر الكلمة مثل: هذوه والأصل: هذى (علم مؤنث).

ومثلها: حبله أصلها: حبلى^(٢)، ويقع هذا في الممدود بعد قصره نحو: نجله، أصلها نجله، ثم صارت نجلا، ثم أغلقت الهاء المقطع الطويل المفتوح في الوقف فصارت نجله، ولكنها ترد إلى الأصل، والهاء في هذه لا ترد إلى الأصل؛ لأنها وقعت في الخطاب قديماً، واصطلح الناس عليها.

والقلب المطرد في الأصوات قانون عام يقع في كل نظير، والأصوات التي وقع فيها إبدال، لا يشعر بها المتكلم في كلامه؛ لأنه يطبق قانون القلب قياساً على حصيلته اللغوية، وتفسير أسباب التطور من عمل المتخصصين فيردون أسباب التطور إلى عللها، وقد ذكرنا بعض النماذج في أكثر أصوات العربية تطوراً (وهي الألف والواو والياء والهمزة)، وقد وقع تطور في الأصوات الصحاح^(٣) بيد أنه غير مطرد ولا يقاس عليه.

*** **

(1) شرح الشافية جـ ٢/٢٨٦، ٢٨٧، والكتاب جـ ٤/١٨٢.

(2) سر الصناعة جـ ١/٥٥٦.

(3) ارجع إلى: باب الإبدال في كتب الصرف، ومن أشهر الكتب التي أفردت لهذا الموضوع: القلب والإبدال ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، والإبدال والمعاقبة والنظائر لعبد الرحمن الزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، وكتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ).

المراجع

- ١- الإبدال، لابن السكيت، تحقيق د. حسين محمد شرف، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ١٣٩٨هـ.
- ٢- الإبدال والمعاقبة والنظائر، عبد الرحمن الزجاجي، دار الولاة. ط ١/١٤١٤هـ.
- ٣- أسباب حدوث الحروف، أبو علي الحسين بن سينا، تحقيق محمد حسن الطيات، ويجي مير، مطبوعات مجمع اللغة العربية، سوريا.
- ٤- أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- ٥- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، لبنان ط ١/١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ٦- إصلاح المنطق لابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف ط ٣/١٩٧٠م.
- ٧- الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ط ١٩٨٥م.
- ٨- الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١/١٤٠٥هـ.
- ٩- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، دار الكتب المصرية ١٩٦٠م، وطبعة المنار.
- ١٠- الاقتراح في أصول النحو وجدله، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق الدكتور محمود فجال، مطبعة الثغر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ١١- الإمالة في القراءات واللهجات العربية، الدكتور عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر ط ٢/١٣٩١هـ.
- ١٢- الإيضاح في شرح المفصل، أبو عمرو عثمان بن عمر (ابن الحاجب)، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٨٣م.
- ١٣- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط ٢/١٣٩٨هـ.
- ١٤- التثمة في التصريف لأبي عبد الله محمد بن أبي الوفاء الموصلي، المعروف بابن القبيصي، تحقيق الدكتور محسن سالم العميري، ط ١/١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- ١٥- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، حققه وقدم له محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٧٨هـ، ١٩٦٧م.
- ١٦- التصريف الملوكى ، أبو الفتح عثمان بن عبد الله بن جنى ، تحقيق الدكتور البدر اوى زهران ، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان) ط ١/٢٠٠١ م .
- ١٧- التطور اللغوي، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٨- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، عناية: أوتويرتزل، استانبول، مطبعة الدولة ١٩٣٠م.
- ١٩- الحجة في القراءات السبع لأبى على الفارسي، تحقيق على النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤/١٤٠٣هـ.
- ٢٠- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- ٢١- دراسات لغوية ، الدكتور عبد الصبور شاهين ، ط ١٩٩٥ م ، مكتبة الشباب .
- ٢٢- دراسة الصوت اللغوي، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- ٢٣- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق أحمد فريد، المكتبة التوفيقية (د.ت).
- ٢٤- شرح شافية ابن الحاجب، رضى الدين محمد الاسترأبادى، مع شرح شواهده للبغدادى، حققه محمد نور الحسن، ومحمد الزفراف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٢٥- شرح الكافية فى النحو، رضى الدين محمد الاسترأبادى، تحقيق أحمد السيد، المكتبة التوفيقية (د.ت).
- ٢٦- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن على بن يعيش، تحقيق أحمد السيد وإسماعيل عبد الجواد، المكتبة التوفيقية، (د.ت).

- ٢٧- علم الأصوات، دراسة مقارنة، الدكتور صلاح الدين حسنين، دار الاتحاد العربية، ط٢/١٩٨٣م.
- ٢٨- علم الأصوات، الدكتور كمال بشر، دار غريب، ط١/٢٠٠٠م.
- ٢٩- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والسمرائي، جامعة بغداد.
- ٣٠- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ط٢/١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- ٣١- كتاب الإبدال، أبو الطيب اللغوي، تحقيق: عز الدين التنوخي، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦٠م.
- ٣٢- كتاب الحروف والمعاني، الزجاجي، تحقيق على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، إربد، الأردن.
- ٣٣- المحتسب، أبو الفتح عثمان بن جنى، تحقيق على النجدى ناصف، وإسماعيل شلبى، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ٣٤- المزهرة فى علوم اللغة، جلال الدين السيوطى، تحقيق محمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل، وعلى محمد البجاوى، مكتبة دار التراث، مصر، ط٣.
- ٣٥- مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصارى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط صبيح، القاهرة.
- ٣٦- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية، مصر ١٣٩٩هـ.
- ٣٧- المقرب، ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبورى، مطبعة العانى، بغداد، ط١/١٣٩١هـ، ١٩٧١م.
- ٣٨- الممتع فى التصريف، ابن عصفور، تحقيق فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٩- من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، مصر ١٩٧٥م.
- ٤٠- المنصف، ابن جنى، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، البابى الحلبي ط١/١٣٧٣هـ.

- ٤١- النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى، تحقيق محمد على الصباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٢- النوادر فى اللغة، أبو زيد الأنصارى، تحقيق الدكتور محمد عبد القادر، دار الشروق، مصر.

*** **